الفصل الرابع .

المعرفة الإنسانية والتربية في الفلسفة الواقعية المعاصرة

الفصل الرابع :

المعرفة الإنسانية والتربية في الفلسفة الواقعية المعاصرة.

مقدمة الفصل

يستهدف هذا الفصل دراسة نظرية المعرفة والتربية في الفلسفة الواقعية المعاصرة ، ذلك لأن نظرية المعرفة هي أساس هام للفلسفة الواقعية المعاصرة بل هي أهم المباحث الفلسفية في الواقع،لدرجة أن بعض الباحثين يرى أنها هي الفلسفة ذاتها.كما أن نظرية المعرفة هي الشغل الشاغل للفلاسفة ليس الواقعيين فقط،إنما كل الفلسفات والمذاهب الفلسفية قد إهتمت بتحليل المعرفة الإنسانية ، ولذلك اختلف الفلاسفة حول مصادرها وطبيعتها وأدواتها وإنعكاساتها التربوية .

إن نظرية المعرفة تنصب على طبيعة المعرفة البشرية وتفسيرها وتحليلها وأدواتها ومنابعها ، وأحد أهدافها الوصول إلى المعرفة "بل إن السعي وراء المعرفة من أجل ذاته دون النظر إلى النتائج المترتبة عليها ، هو الهدف الأساسي للتربية العقلية ، وهذا يعني أن التلميذ يجب أن يكوّن مفاهيم جديدة عن الطبيعة الإنسانية وحقيقة الأشياء الموجودة،وأن يسعى وراء المعرفة بهذا الشكل.وبذلك يصل العقل الإنساني إلى أقصى حالاته.ويصبح أحد أهداف التربية تمكين العقل من الوصول إلى المعرفة[1]".والجزء الأساسي في العملية التربوية يقوم على معرفة الإنسان لنفسه وماضيه وعالمه وبيئته.وهذه المعرفة ضرورية لاستمرار حياة الإنسان ، ولذلك فواجب المدارس أن تمد التلاميذ بالمعرفة التي تساعدهم على الإسهام في المحافظة على تراثهم الثقافي ونقله من جيل إلى جيل ، وبذلك ترتبط نظرية المعرفة بكل من المعلم والمتعلم ، فالمعلم ينقل المعلومات والمعارف التي يكتسبها المتعلم ، كما ترتبط نظرية المعرفة بطبيعة المادة العلمية نفسها ، والخبرات التربوية والمناهج وطرق نقل المعرفة من المعلم إلى المتعلم واللغة التي هي الوسيلة التي تنقل المعرفة .

---

(1) Brubacher "Modern Philosophies" P . 82 . 83.

وبذلك ترتبط نظرية المعرفة بكل من (١) المعلم (٢) المتعلم (٣) وسيلة نقل المعرفة (٤) طرق التدريس (٥) أهداف المعرفة (٦) نظم التقويم ويستهدف هذا الفصل دراسة المعرفةوالتربية في الفلسفة الواقعية المعاصرة من خلال المحاور الآتية :-

أولاً : طبيعة ومصادر المعرفة في الفلسفة الواقعية :

أ- الواقعية الساذجة .

ب- الواقعية النقدية .

جـ- الواقعية الجديدة .

د- الواقعية النقدية المعاصرة .

ثانياً : نظرية المعرفة عند بيري وراسل ووايتهيد :

أ- المعرفة عند بيري .

ب- المعرفة عند راسل .

جـ- المعرفة عند وايتهيد .

ثالثاً : المعرفة بين المعلم والمتعلم :

أ- المعلم ب- المتعلم .) المناهج الدراسية ،

(د) الوسائل التعليمية

رابعاً : مراحل التعليم :

أولاً: طبيعة ومصادر المعرفة في الفلسفة الواقعية المعاصرة:

ترتبط نظرية المعرفة بكل من التربية من جهة،ومباحث الوجود والميتافيزيقا من جهة أخرى ، ولذلك تختلف نظرية المعرفة باختلاف المذاهب الفلسفية ، بل في المذهب الفلسفي الواحد نجد هنالك اختلافات بين الفلاسفة أصحاب هذا المذهب الواحد.ورغم ذلك فإن لكل مذهب خصائصه وسماته التي تميزه عن غيره من المذاهب الأخرى ، ولكن الواقعية تشترك في بعض الأسس منها ما يلي :-

الأساس الأول : الفلسفة الواقعية هي تلك الفلسفة التي تبدأ من الواقع.وهي ترى أن الأشياء موجودة وجوداً مادياً حقيقياً وليس ظلاً أو صورة لعالم آخر ، فالبحار والأشجار والجبال لها وجود حقيقي.والأمر الثاني أن هذا الوجود ليس ثابتاً وجامداً بل هو متحرك ومتغير ومرن، وفي ذلك يرى"وايتهيد"أن الطبيعة في تغير دائم وتطور دائب وسير لا يقف[1]".ففي الطبيعة بأسرها فاعلية متصلة ونشاط مستمر، المبدأ الأساسى فى فلسفة "وايتهيد" و"راسل" و "بيرى" أن العالم فى تغير وتطور وحركة وعمل.والطبيعة قوامها هذه الحركة الدائبة.وبالتالي فقوامها تغير وتطور لا وقوف وسكون ، وأخص خصائص هذا التغير في الطبيعة هو أنه يخلق الجديد.وإن هذا التغير يقصد إلى هدف يراد تحقيقه.والأمر الثالث أن هذا الكون ليس وحدة واحدة بل مجموعة مشتملة على كثرة من أشياء ، كما تدل على ذلك خبراتنا.وإن كان ثمة وحدة بينها فإنما هي وحدة العلوم لا وحدة الأشياء التي تدرسها العلوم .

الأساس الثاني : أن للعالم الخارجي – عالم الأشياء – وجود مستقل بذاته لا يتوقف على وجود الإنسان أو عدم وجوده ، فإذا أردنا أن نعرف هذا العالم الخارجي،كان علينا أن نصدر عليه الأحكام التي لا تتأثر بذواتنا فكأنما نحن نترك الأشياء تتحدث عن نفسها,وهذه الأشياء التي لا يتغير من طبيعتها شيء بمعرفة الإنسان لها.فهي ما هي قبل معرفته لها ومع معرفته لها وبعد معرفته لها."ونحن إذا ما حاولنا معرفة الأشياء كما هي حققنا موضوعية النظر من جهة وهيأنا الطريق أمام إقامة علم صحيح بطبائع الأشياء[2]".والأشياء الخارجية لها وجود عينى مستقل عن العقل الذي يقوم بإدراكها وعن جميع أفكار العقل وأحواله."ومعرفة العقل مطابقة لحقائق الأشياء المدركة ، فليس العالم الخارجي كما هو مدرك في

---

(١) زكى نجيب محمود "حياة الفكر في العالم الجديد" ص٢٢٥ .

(٢) زكي نجيب محمود "فلسفة القيم" القاهرة الجهاز المركزي لدكتب الجامعية ، ١٩٧٧ ، ص

عقولنا إلا صورة لهذا العالم كما هو موجود في الواقع[1]". فالمعرفة عند الواقعيين إدراك عقلي أو حسي مطابق للأعيان في الخارج ، أو هي إنعكاس العالم الخارجي على العقل، باختصار شديد المعرفة هي "صورة" لما يجري في العالم من وقائع وأحداث. "فالحقائق الخارجية هي بمثابة الأصل ومعرفتي إياها بمثابة الصورة فإذا نظرت إلى مكتبي هذا وقلت عنه أنه مستطيل السطح، أو أنه بني اللون فذلك لأن هناك خارج نفسي شكلاً مستطيلاً، ولوناً بنياً لا دخل لي في حدوثهما. وكل ما فعلته إزاءهما هو أنني نظرت إليهما فعرفتهما بمعنى إنهما قد ارتسما في ذهني كما هما في عالم الواقع[2]". ولذلك يرى بعض الفلاسفة أن المعرفة ما هي إلا تصوير لما يقع بغير حذف أو إضافة. ولا فرق بيني حين أنظر إلى مكتبي البني المستطيل، وبين آلة التصوير. كلانا يقوم بعملية واحدة وهي أن يلتقط صورة يكون بينها وبين أصلها شبه تام ، ولو عبر الإنسان عن معرفته بشيء ما في عبارة كلامية كانت هذه العبارة وصفاً كاملاً للشيء إذا ما اشتملت على ألفاظ بعدد ما في الشيء من عناصر وأجزاء مضافاً إليها ألفاظ أخرى تصور العلاقات الكائنة بين تلك العناصر والأجزاء. فمثلاً هذا المصباح المضيء على مكتبي فإنني إذ أقول بعد النظر إليه أنني "أعرف" أن على مكتبي مصباحاً مضيئاً فإنما أعني بذلك أنه قد ارتسمت في ذهني صورة تطابق الشيء الواقع. وأستطيع التعبير عن هذه الصورة بعبارة كلامية تجيء وصفاً لما أعرفه فأقول "مصباح مضيء على مكتبي". فتكون كلمة مصباح مشيرة إلى المصباح. وكلمة مضيء مشيرة إلى الضوء المنبعث من المصباح. وكلمة مكتبي مشيرة إلى المكتب الذي أمامي ، وأما كلمة على فتشير إلى العلاقة بين المصباح المضيء والمكتب. "هذه العبارة الوصفية إن هي إلا وضع لفظي للصورة الذهنية التي التقطتها بعيني. وهي في نفس الوقت عبارة صادقة

---

(١) توفيق الطويل "أسس الفلسفة"، القاهرة : النهضة العربية ، ١٩٦٧ ، الطبعة الخامسة ص

(٢) زكي نجيب محمود، "نظرية المعرفة" القاهرة، الأنجلو المصرية. ص١١ .

ومعنى ذلك أن هذه العبارة تصف ما في ذهني،وما في الخارج على حد سواء.فهي تصدق على فكرتي وعلى الشيء الواقع في آن واحد ، وإذن ففكرتي لابـــد أن تكون صورة للشيء الواقع.وفيها ما في الشيء من أجزاء وعلاقات[1]" .

والعالم الخارجي موجود بغض النظر عن وجودي ، إذ هو موجود مستقل عن معرفتي إياه ، فالمصباح المضيء على مكتبي قائم هناك سواء اتجـــهت إليـــه ببصري لأراه أو أقفلت عيني بحيث لا أراه ، فالأمر ها هنا هو بذاته الأمـــر في آلة التصوير وما تصوره ، فالشيء موجود سواء اعترضته آلة التصوير لتلتقطـه أو لم تعترضه أو بعبارة أخرى "لا يتوقف وجود الشيء على كوني أعرفـــه ، وإن أحدثت هذه المعرفة تغيراً ما.فالتغير إنما يطرأ على الشخص العـــارف لا علـــى الشيء المعروف.إذ يصبح ذلك الشخص بعد معرفته تلك عالماً بما كان يجهلـــه قبلها.فإذا لم أكن قد رأيت معابد الأقصر قبل الآن ، ثم ذهبت إليـــها ورأيتـــها فليست معابد الأقصر هي التي حدث لها التغير ، إنما هو أنا الذي علم بعد جـهل فتغيرتُ بهذا العلم الجديد كثيراً أو قليلاً[2]".

الأساس الثالث : أن العالم قوامه كثرة من أشياء وليس وحدة واحـــدة كمـــا يذهب المثاليون ، فالعالم كما يراه " راسل "و " بيري " و " وايتهيد " يكون كـثرة وليس وحدة واحدة ،ومن هنا فإن العلم الحديث قد حلل المـــادة إلى ذرات والذرة إلى كهارب سالبة وكهارب موجبة.وليست المنضدة التي أمامي جســـماً صلباً بالمعنى الذي كنا نعرفه للأجسام الصلبة بل هي خلية كبيرة من أشعة تتحرك بسرعة كسرعة الضوء ، فالعالم قوامه كثرة حقيقية وليس هو بالحقيقة الواحـــدة فالعالم مكون من كائنات شتى ، أشجار وأنهار وبحار وأحجام وأجرام في السماء وأفراد من الإنسان والحيوان ..

---

(١) المرجع السابق ص ١٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤ .

إذن العالم في حقيقته هو هذه الكثرة في الأشياء والوقائع والحوادث التي قد تتصل حيناً وتنفصل حيناً ، وإذا كانت هذه هي حقيقة الأمر فيه ، كان خير سبيل إلى معرفته أدق معرفة هو تحليله إلى مقوماته ومكوناته ، فحلل الطبيعة إلى عناصرها ، وأنظر إلى هذه العناصر كيف تختلف وكيف تأتلف ، فيكشف لك الستر عن سرها الدفين ، حللها تظهر لك الأشياء ، فالمعرفة هنا تعتمد على تحليل العالم بكثرته إلى أدق الأشياء، ولكن الذين يقومون بهذه المعرفة هم العلماء .

الأساس الرابع : إن نقطة البدء في الواقعية هي الاعتراف بالعالم المادي بكثرته وتغيره وإن معرفة هذا العالم تعتمد على الحواس التي تخضع في نفس الوقت للعقل ، فإذا كان المثاليون يعتمدون على العقل كمصدر للمعرفة فإن الواقعية تعتمد على الحواس في المعرفة ، فمصدر المعرفة الخبرة الحسية حيث تتألف المعرفة من احساسات يتلقاها العقل عن طريق الحواس.ثم بعد ذلك يحتفظ بهذه الاحساسات الأولية فتكون هي الفكرة ، وما الأفكار إلا الآثار الحسية نفسها التي جاءت من الحواس.فلا تنشأ في العقل أفكار إلا إذا سبقتها الآثار الحسية.ثم يتناولها العقل بالتركيب ، فمصدر المعرفة عند الواقعية هو الخبرة الحسية ووسيلتها الحواس ويرفض "الواقعيون الرأي الكانطي بأن العقل يفرض مقولاته الخاصة –كالجوهر والعلة – على معطيات الحواس.ويقول الواقعيون بالعكس أي أن العالم الذي ندركه حسياً ليس عالماً خلقناه نحن بعقولنا بل هو العالم كما هو[1]".فالمعرفة لا تبدأ من العقل ومقولاته.ولكنها تبدأ من الواقع،ثم الآثار الحسية التي تنتقل إلى المخ وهكذا تتكون الأفكار فحينما أقول "عرفت البرتقالة لأني رأيت لونها بالعين وذقت طعمها باللسان.وشممت رائحتها بالأنف.ولمست سطحها بالأصابع فعرفت استدارتها وصلابتها.وهكذا وما البرتقالة عندي إلا هذه الإدراكات الحسية

---

(١)-جورج نيلو "مقدمه إلى فلسفة التربية".ترجمة نظمي لوقا ، القاهرة،الانجلو المصرية.ص ٣٠ .

جميعاً ولو أقفلت أبواب الحواس واحدة بعد واحدة لامتنعت عليّ المعرفة جانباً بعد جانب حتى تمتنع المعرفة كلها إذا أقفلت الأبواب كلها[1]".

الأساس الخامس : إن المعرفة مكتسبة.وليست فطرية موروثة يولد الإنسان مزوداً بها ، وإذا كان العقليون عامة يرون أن للعقل مبادئ فطرية لم تكتسب من الواقع فإن الواقعيين يرفضون التسليم بالقول بأن هناك مبادئ عقلية وحقائق بسيطة فطرية التي هي مثل "مبادئ الهوية وعدم التناقض والعلية[2]".ومن أهم الأسس التي اتفق عليها الواقعيون أن الأفكار مكتسبة.وليست فطرية.وهي تكتسب من الواقع من خلال الحواس التي تخضع للعقل ، وكذلك المنهج العلمي الحديث ، ويرى الواقعيون أن المعرفة ليست أفكاراً يقررها العقل من عنده عن الواقع ،إنما هي "كشف" للواقع كما يقع ، وفاعلية العقل في عملية المعرفة إنما تقتصر فقط على الإنتباه إلى ما نريد معرفته.ثم الإشارة إلى الرابطة التي ترد الفكرة إلى مصدرها الخارجي على عكس المثالية التي جعلت العقل هو المولد للأفكار من مبدئها إلى منتهاها دون الإستناد إلى واقع خارجي أو الرجوع إليه" على أن الواقعيين ليسوا سواء في تحليل العلاقة بين العقل العارف والشيء المعروف ، فيمكن التمييز بين أربع وجهات نظر : الأول الواقعية الساذجة ، والثانية : الواقعية النقدية ، والثالثة : الواقعية الجديدة،والرابعة:الواقعية النقدية المعاصرة.

أ- الواقعية الساذجة : Naïve Realism

وهى ترى أن أفكارنا صور مطابقة للأشياء في الخارج أو المعرفة صورة لما يجري في العالم من وقائع وأحداث ، فالعالم الخارجي بأشجاره وجباله وبحاره وسمائه بمثابة الأصل ومعرفتي له بمثابة الصورة وقد أعتبر هذا المذهب ساذجاً لأنه "يمثل مرحلة سابقة على مرحلة التفكير العلمي والفلسفي ،ولا يخضع للتفكير

---

(١) ذكي نجيب محمود ."نظرية المعرفة". ص

(2) Brubucher Modern of philosophies . P . 78 .

النقدي ، ويثق في مدركات الحس ثقة لا حد لها[1]" . والواقعية الساذجة تثق في الحواس ثقة كبيرة فهي وسيلة المعرفة.فإذا نظرت إلى شجرة خضراء وقلت عنها أنها شجرة خضراء.فذلك لأن هناك خارج نفسي جسماً ذا أوراق.ولونه أخضر ، وكل ما فعلته هو أنني نظرت إلى الشجرة الخضراء فانتقلتْ إليّ صورتها كما هي في الواقع ، فالمعرفة ما هي إلا صورة ارتسمت في ذهني عن الأشياء ، وقد تعرض هذا المذهب الواقعي الساذج إلى النقد لثقته الشديدة في الحواس.وفي صحة أحكامها مع أن الحواس تخدعنا ، فالعصا المغروسة في الماء تبدو مكسورة أمام العين.وهي ليست كذلك في واقع الأمر.والمرئيات تبدو لأعيننا عن بعد أصغر حجماً من حقيقتها ... ، وهذا وغيره كفيل بأن يفقدنا الثقة في أحكام الحواس[2] . وهناك اعتراض آخر على الواقعية الساذجة يتضح في هذا السؤال "مَنْ من الناس تكون الصورة الذهنية التي عنده عن الشيء هي الفكرة الصحيحة عن ذلك الشيء ، أهو الإنسان العادي بحواسه المجردة أم العالم بمجاهيره ؟

إنني أنظر إلى سطح هذه المنضدة التي أمامي بعين مجردة فأراه أملس حتى إذا ما نظرت إليه بمجهر العالم رأيت فيه ما هو أشبه بالوديان والجبال لأن أليافه الخشبية ليست في حقيقتها التي تظهر تحت المجهر مستوية ملساء،كما بدت للعين العادية.وانظر إلى القمر بالعين المجردة فإذا هو قرص مستو ، ثم انظر إليه بالمنظار المقرب فإذا سطحه كسطح الأرض من وعورة فأي المعرفتين صواب ؟ ستقول أن الصواب هو ما يبدو تحت المجهر،أو ما يبدو بالمنظار المقرب لكن ذلك المجهر وهذا المنظار قد يجيء ما هو أدق منهما.وعندئذ تزداد وعورة القمر.وعندئذ نعلم أيضاً أن ما كنا ظنناه حقيقة المنضدة والقمر قد تبين أنه لم يكن الحقيقة كلها وهكذا ، ثم يزداد الحال سوءا حين يجيئنا عالم الطبيعة بالحدث فينبئنا بأن هذه

(١) زكي نجيب محمود."فلسفة القيم". ص

(٢) توفيق الطويل ،"أسس الفلسفة" ص

المنضدة التي أراها خشباً صلباً ، وهي في الواقع مجموعة من كـــهارب موجبـة وكهارب سالبة.وأن هذه الكهارب في حركة وتغير ، وإذن فليست المنضدة على الصلابة التي أحسها بأصابعي،ولا هي على السكون الذي يظنـــه فكـــري[1]".

وبالتالي لا تكون الواقعية الساذجة قد أصابت الرأي حين قالت إن الفكرة الـــتي أكونها بحواسي عن الشيء الذي أدركه هي صورة مطابقة للشيء نفسه .

ب- الواقعية النقدية (التقليدية) (Traditional) Critical Realism

إذا كانت الواقعية الساذجة قد جعلت الدور الأكبر للحواس كمصـــدر للمعرفة دون فاعلية إيجابية من العقل،فإن الواقعية النقدية أضافت فاعلية للعقـــل بحيث "لم تصبح المعرفة صورة مطابقة للأشياء المدركة كما هو الحال في الواقعيـة الساذجة.ولكنها أصبحت صورة معدلة بفعل العقل الذي يستطيع أن يتجـــاوز الجزئيات المحسوسة Particulars إلى الكليات Generals على نحو مـــا هـــو معروف عند"جون لوك"فقد رفض رد الحقائق المسلمة والمبـــادئ المشـــهورة إلى فطرة العقل على نحو ما ذهب"أفلاطونيو كمبردج"من ناحية.و"ديكارت"من ناحية أخرى ، وجعل للعقل عملاً إيجابياً وهو أن يؤلف من الصورة الحسية التي تنقلـها إليه الحواس معاني جديدة[2] ". فالعقل ليس لوحة قابلة لا فاعلية فيه كأنه اللوحـة في آلة التصوير تأتيها أشعة الضوء من الخارج فترتسم عليها كما أتتها بغير تحوير ، ولكنْ للعقل دور إيجابي في عملية المعرفة ، فإذا كانت المادة الخام تأتي من الخارج عن طريق الحواس فإننا نتناولها بعقولنا بالتأليف والتركيب بحيـــث ينتـــج لنـــا تكوينات عقلية هي أساسية في المعرفة.ومع ذلك فلا تطابق بينها وبـــين عـــالم الأشياء.فمثلاً "أنت تعرف البرتقالة مثلاً فإذا عرضت لك برتقالة عرفـــت أنهـــا

---

(١) زكي نجيب محمود "نظرية المعرفة" ص

(٢) توفيق الطويل "أسس الفلسفة" ص٣٣٣

برتقالة على أساس الصورة العقلية التي تحملها معك جزءاً من معرفتك فمم تتكون فكرة البرتقالة التي تحملها في رأسك ؟

لقد رأيت في خبرتك برتقالات كثيرة ليست كلها سواء ، فاللون فيها على شيء من الاختلاف،والاستدارة فيها على شيء من التفاوت والطعم فيها على كثير من التباين وهكذا ، لكنها على ما بينها من اختلاف في بعض التفصيلات ، تشترك كلها في صفات بحيث يستحيل أن يكون هنالك برتقالة إلا وقد اتصفت بتلك الصفات،هذه الصفات المشتركة هي التي تجمع بعضها إلى بعض في رأسك التي يتكون منها معرفتك بالبرتقالة ، ولكن لاحظ أن هذه "البرتقالة العامة" التي رسمتْ لها صورة في ذهنك تختلف عن أية برتقالة تصادفك في العالم الواقع لأنك عندما ركبت صورة "البرتقالة العامة" كنت قد طرحت من حسابك بعض التفصيلات التي تختلف فيها برتقالات الواقع التي عرضت لك في خبرتك . إذن فهذه الصورة العامة التي لديك والتي هي في الحقيقة معرفتك بالبرتقالة ليست صورة مطابقة تماما المطابقة لأفراد البرتقال في الواقع".فالعقل يقوم بدور إيجابي في المعرفة من حيث تأليف وتركيب وتكوين معارف أساسية في المعرفة،وانتقال من جزئيات محسوسة إلى كليات نظرية ، ولم تعد المعرفة صورة مطابقة للواقع كما تأتي من الحواس.ولكنها أصبحت صورة معدلة بفعل العقل وفاعليته في المعرفة الإنسانية ، وهذا ما ركزت عليه الواقعية النقدية التقليدية التي تميزت برفضها التسليم بالوجود الحقيقي لعالم المدركات الحسية بغير اختبار نقدي.فهي تحاول أن تثبت أن الحقيقة بمناقشة الحجج المضادة ودحضها حتى يتسق منطق الواقعية مع النتائج التي ينتهي إليها نقد المعرفة ، ولذلك فهي نقدية لأنها تتجه إلى نقد المعرفة وتحليلها ، ولذلك فالمذهب الواقعي النقدي هو الذي اعتمدته العلوم الطبيعية بعد إخضاعه للنقد العلمي ، وخلاصتة أن الحس يدرك حقائق الأشياء وهذه الحقائق تمحص في قوانين العلوم الطبيعية ، فالمادة في نظر هذه العلوم شيء

حقيقي له وجود عيني خارجي ، ولكن الكيفيات التي يدركها الحواس ليست إلا من عمل الذهن[1]". ويعتبر"جون لوك" هو الممثل الشرعي للواقعية النقدية التقليدية .

وقد رفض"لوك"الواقعية الساذجة كما رفض المثالية ، وإذا كانت الواقعية الساذجة ركزت على الحواس كمصدر للمعرفة،فإن"لوك"أضاف فاعلية العقل في العملية المعرفية ، وترى الواقعية الساذجة أن المعرفة صورة للأشياء فإنه يترتب على ذلك أن تدوم تلك المعرفة على حالة واحدة ما دام الشيء المعروف محتفظاً بهوية واحدة ، فلو كانت معرفتي للمنضدة التي أمامي صورة مطابقة لها لتحتم أن تظل الصورة على حالة واحدة مهما تغيرت وجهة نظري إلى المنضدة.ولكنني ألاحظ أن إدراكي للمنضدة يتغير كلما غيرت موضعي منها.فاستطالة سطحها تختلف باختلاف الزاوية التي أنظر منها.وهنا ينشأ سؤال هل ينطبق هذا القول على جميع صفات الشيء المدرك إذ أنه ينطبق على صفات دون أخرى ؟ هنا تقول الواقعية النقدية التقليدية أن صفات الشيء في ذلك تختلف فهي صفتان : صفات أولية،وأخرى ثانوية ، فالصفات الأولية هي ما يكون في الشيء ذاته لا يتغير منه شيء عند إدراكي له ، أما الصفات الثانوية فهي ما أصفه أنا عند عملية الإدراك[2] . فالصفات الأولية هي الصفات الثابتة في الشيء بحيث لا يمكن أن يكون له وجود بدونها ، فهي أساسية فيه ملازمة له دائماً مهما حدث فيه من تغييرات ، ويضرب"لوك"مثلاً بالشكل والامتداد والصلابة.فيقول:"تأخذ حبة من القمح – قسمها إلى قسمين ستجد كل نصف منها مازال على درجة من الصلابة والامتداد وله شكل معين ... إلخ قسم كل نصف كذلك إلى نصفين ستجد أن كل جزء كذلك محتفظ بنفس الصفات السابقة،استمر في التقسيم حتى تكاد تصبح هذه الأجزاء غير محسوسة،ستجد أنها ما تزال تحمل نفس الصفات

---

(١) توفيق الطويل."أسس الفلسفة".ص٣٣٢ .

(٢) زكي نجيب محمود "فلسفة القيم" ص٦٩ .

السابقة،لأن التقسيم لا يمكن أن يزيل صفة الصلابة أو الامتداد عن أي جسم من الأجسام ، إنما يجعل من الجسم الواحد جسمين منفصلين كل منهما يحمل نفس الصفات[1] . أما الصفات الثانوية ليست أولية في الأشياء ولا أساسية في الشيء ولا داخلة فيه ولا ملازمة له.ولكنها مجرد قوى تحدث فينا احساسات مختلفة بواسطة صفاتها الأولية مثل الألوان والأصوات والطعوم والروائح.وهي ثانوية لأنها يمكن أن توجد أو لا توجد في الشيء،وليس من الضروري أن تكون ملازمة ، مثل الكرة يمكن أن تكون حمراء أو صفراء فاللون هنا صفة ثانوية،لأنه يمكن تصور الكرة باللون الأحمر أو بدونه،ولأن وجود الكرة لايتوقف على كونها حمراء أو غير ذلك[2]. وخلاصة القول أن الوقعية النقدية لا تسلم بصحة الإدراكات الحسية بغير اختبار نقدي من جانب العقل ، ولم تعد المعرفة صورة طبق الأصل للأشياء.فإن للعقل دوره الإيجابي في العملية المعرفية بل يرى"لوك"أن هنالك أفكاراً تتكون في العقل بواسطة حاسة واحدة مثل الألوان والنغمات والأصوات،وأفكاراً تتكون في العقل بواسطة أكثر من حاسة مثل أفكارنا عن المكان والامتداد والشكل والحركة والسكون،كلها تكونت في عقولنا عن طريق الانطباعات الحسية التي وصلت إلى الذهن عن طريق حاستي العين واللمس ، وهناك أفكار تتكون في العقل بواسطة التأمل الذاتي.وهي تنشأ حين يصبح العقل مزوداً بالأفكار البسيطة التي وصلت عن طريق الحواس ، وهنا يتجه العقل إلى ذاته ويلاحظ عملياته التي يقوم بها حول هذه الأفكار بحيث يتزود العقل بأفكار جديدة لم تكن فيه من قبل.وهنالك أفكار تتكون في العقل بواسطة الإحساس

---

(١) عزمي إسلام "جون لوك" القاهرة ، دار الثقافة ،

(٢) المرجع السابق ص١٠٢ .

والتأمل الذاتي معاً مثل أفكارنا عن اللذة أو السرور والألم وعدم الارتياح والقوة والوجود والوحدة والتتابع[١].

جـ- الواقعية الجديدة : The New Realism

بدأت الواقعية الجديدة في عام ١٩١٠ على يد جماعة من الفلاسفة الذين دافعوا عن الواقعية بشكل جديد ، يقول«منتاجيو»وهو منهم "وكان كل منا قد كتب بحوثا دافع فيها عن الواقعية بطريقة ظاهرة أو ضمنية[٢]".وقد تعاون هؤلاء الفلاسفة الستة الأمريكان في إخراج مؤلف مشترك بسطوا فيه وجهة نظرهم في المعرفة ، وقد جعلوا عنوان مؤلفهم المشترك "الواقعية الجديدة[٣]" New Realism ويقول«منتاجيو»"مع أن أعضاء جماعتنا الجديدة كانوا يختلفون اختلافاً شديداً في أفكارهم الميتافيزيقية،فقد كنا نشترك في بعض المصادرات المعرفية والمنهجية[٤]".فقد كان مدار فلسفتهم نظرية المعرفة وفهم العلاقة التي تقوم بين الذات العارفة وموضوع معرفتها من غير تمييز بين العارف والمعروف ، إذن في عملية المعرفة يكون هناك عارف ومعروف وبينهما علاقة ، واهتمت الواقعية الجديدة بتحليل العلاقة التي تربط بين الذات العارفة وموضوعها.ورفضت التسليم بما رأته الواقعية النقدية التقليدية من وجود وسيط بين الشيء المدرك والذات العارفة وهو الصورة الذهنية في مذهب"لوك"لأن الإدراك في الواقعية الجديدة يقع مباشرة وبغير وسيط مما جعل معرفتنا للشيء الخارجي صورة مطابقة لحقيقته في

---

(١) المرجع السابق ص ٧٧-٧٨

(٢) منتاجيو "فلسفة القرن العشرين : قصة الواقعية الأمريكية" ترجمة عثمان نوية ، القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ص

(3) Perry . Montague . Holt . Marvin . Fitkin . spaulding .

(٤) المرجع السابق ص

الخارج[1]. والدراسة سوف تشير إلى نظرية المعرفة لدى هذا الاتجاه عند الحديث عن نظرية المعرفة عند"بيري"باعتباره أحد هؤلاء الفلاسفة الستة .

د- مذهب الواقعية النقدية المعاصرة Contemporary Crictical Realism

في عام ١٩٢٠ قررت جماعة ثانية من الفلاسفة الأمريكيين أن تؤلف كتاباً مشتركاً يدافع عن نظرية المعرفة من زاوية الفلسفة الواقعية ، وكانت تتألف من "جورج سنتيانا" santayana و"وتش سترينج" strong"وروجرز" Rogers و"لفجوي" lovejoy و"سيلرز" sellars و"دراك" Drake و"برات" Pratt وأطلقوا على أنفسهم اسم الواقعيين النقديين وجعلوا عنوان كتابهم "مقالات في الواقعية النقدية[2] ، وكانوا يبشرون بمذهب جديد وإن ظلت نظرية المعرفة مدار بحثهم ومشكلة الإدراك الحسي مركز تفكيرهم إلا أنهم رفضوا موقف الواقعية الجديدة في ضم العارف والمعروف في نمط واحد،وعادوا إلى الثنائية التي يتميز فيها المدرِك من الشيء المدرَك ، وأن الأشياء الخارجية لها وجود مستقل عن هذه المعرفة كل الاستقلال ،كما اعتقد بعض الواقعيين من قبل،وكان طبيعياً أن يرفضوا القول بوجود فارق بين ظاهر الشيء وحقيقته أو ما يبدو من الشيء وحقيقته أو ما يبدو من الشيء والشيء ذاته،وعلى هذا فليس ثمة شيء يقوم وراء الطبيعة أو فوقها أو يكون مفارقاً لها[3]. وأهم ما يميز الواقعية النقدية هو أنها في تحليلها للحلقة الوسطى التي تحدث بين الشيء المعروف من طرف،والعقل العارف من طرف آخر ركزت على المعطيات الحسية ، فأنت إذ ترى هذه الصفحة التي أمامك الآن وهي الشيء المعروف إنما يجيء إلى بصرك منها معطى،وليس هذا المعطى - بفتح الطاء - هو الذي تعطيك إياه الصفحة التي أمامك هو في ذاته معرفتك مما في هذه الصفحة من معرفة بل أن هذا المعطى هو الذي يقدم إلى

---

(١) توفيق الطويل."أسس الفلسفة"ص ٣٣٤

(٢) متاجيو."قصة الواقعية الأمريكية".ص ٢٢٢ .

(٣) توفيق الطويل."أسس النزعة".ص ٢٣٥ .

عقلك الشيء المراد معرفته،وفي هذه الحالة ترتبط الصلة بينك وبين العالم الخارجي، فلا أنت حبيس ذاتك الداخلية،ولا أنت خرجت إلى الشيء الخارجي لتلتقي به لقاءً مباشراً[1]. ،والفكرة الرئيسية التي اتفق عليها أصحاب الواقعية النقدية هي أن المعرفة يمكن التمييز فيها بين طرفين طرف منها الشيء الذى نعرفه، والطرف الثاني هو الوعي الذي تعرف عن طريقه ، وعلى عكس الواقعية الجديدة في توحيدها للطرفين ، ولذلك الواقعية النقدية المعاصرة جعلت "وعي الإنسان حلقة وسطى بين الشيء المعروف والعقل العارف سواء كانت هذه الحلقة الوسطى إدراكاً حسياً أو إدراكاً عقلياً أو تذكراً لإدراك ماضٍ دون أن تقف هذه الحلقة الوسطى حاجباً يحجب العقل وراء ستار، فلا يتصل بالعالم الخارجي كما يقع ، ومعنى ذلك أن القول بأن الشيء الذي نعرفه موجود وجوداً حقيقياً في الخارج،وتجيء معرفتنا فتبصرنا بهذا الوجود الحقيقي دون أن تكون معرفتنا تلك هي التي تخلق الأشياء خلقاً داخل عقولنا كما يقول المثاليون[2]. وتقوم نظرية المعرفة عند أصحاب نظرية الواقعية النقدية المعاصرة على بعض الأسس منها

١- يتألف العالم على الأقل من مجموعتين من الوحدات : أ- أشياء مادية ب-حالات عقلية أو أفكار .

٢- الأفكار وحدها هي التي تعرض أو تقبل كأشياء في الوعي وهي بهذا المعنى تعرف في الحال ، بينما الأشياء المادية لا تدرك إلا بواسطة إذ أنها تستنبط كأسباب مباشرة أو غير مباشرة للأفكار .

٣- الأشياء المادية المستنبطة لا تتطابق دائماً تطابقا عدديا أو وجوديا مع الأشياء أو الأفكار التي تعرض مباشرة التي تستنتج منها هذه الأشياء فضلاً عن ذلك فهي على الأقل تختلف بعض الاختلاف النوعي أو الطبيعي عن

---

(١) زكي نجيب محمود "فلسفة القيم" ص٧ .

(٢) المرجع السابق ص٧ .

هذه الأفكار[1]. وابتدأ من هذه النقطة ، يختلف الثنائيون الأبستمولوجيون بعضهم عن بعض ، فبعضهم مثل "ديكارت" و"لوك" يعتقدون أن الأفكار تكمن في جوهر عقلي أو روح. وآخرون منهم مثل "هوبز" و"اسبينوزا" يعتقدون أن الأفكار لا تكمن في جوهر غير مادي بل هي الجانب الداخلي للجسم أو للجوهر الذي يكون الجسم جانبه الخارجي[2]. وأهم ما ركز عليه هذا المذهب في المعرفة التركيز على ما في التجربة الحسية من خداعات وأخطاء ، وكان إسهامهم في نظرية المعرفة مقصوراً بصفة أساسية على دحض "الموضوعية الواحدية" للواقعيين الجدد وإعادة صياغة النظرية الثنائية في الإدراك على نحو يختلف قليلاً عن الصيغة الأولى ، وكما قدمت الواقعية النقدية وخاصة عند "لفجوى" "تحليلاً دقيقاً شاملاً لمغالطات الفلسفة الموضوعية النسبية التي نادى بها و"ايتهيد" "وراسل"[3] فما هي نظرية المعرفة عند "راسل " و " بيري " و " وايتهيد "

ثانياً : نظرية المعرفة عند بيري وراسل ووايتهيد :

رغم أن "راسل" و"بيري" و"وايتهيد" قد اتفقوا على أسس واقعية معرفية إلا أن من يدقق النظر يجد بينهم اختلافات دقيقة حول طبيعة المعرفة ومصادرها سواء كان من الناحية الفلسفية الخالصة أو من الناحية التربوية فلكل واحد منهم خصائصه وسماته التي تميزه عن غيره من الفلاسفة ، ومن هنا تشير الدراسة في الصفحات القادمة إلى نظرية المعرفة عند كل واحد منهم.

---

(١) منتاجيو "قصة الواقعية الأمريكية" ص٢٢٣-٢٢٤

(٢) المرجع السابق ص٢٢٤

(٣) المرجع السابق ص٢٢٥

(أ) نظرية المعرفة عند بيري

"بيري"هو أحد فلاسفة الواقعية الجديدة المعاصرة الذين كتبوا مؤلفهم المشترك دفاعاً عن الواقعية الجديدة.وفى ذلك يقول"متناجو" " إن هدفنا كان إحياء الواقعية العادية والدفاع عنها بأن نضيف إليها الإفلاطونية.ونطرح منها النظرية الثنائية أو نظرية الصورة أو النسخة فى المعرفة "[1].

وتدور نظرية المعرفة حول الذات العارفة وموضوع المعرفة والعلاقة بينهما وفى سؤال هو : هل من الضروري فى تحديد تلك العلاقة التي تصل بين الطرفين أن ندرس الطرفين ذاتيهما ، ألا يجوز الاكتفاء ببحث العلاقة وحدها دون التوغل فى بحث حقيقة العارف على حدة وبحث الشئ المعروف على حدة ؟ وبهذا الرأي أخذ الواقعيون الجدد ومعهم"بيري"أي إنهم جعلوا البحث فى المعرفة يقتصر على تحليل العلاقة الكائنة بين الشخص العارف و الشئ المعروف،ومجمل القول فى ذلك هو إنه لا وساطة بين العقل المدرك (بكسر الراء) والشئ المدرك (بفتح الراء) ومن هنا تكون النتيجة المهمة هي ألا فرق بين الشئ كما هو فى حقيقته الخارجية وبينه كما هو فى وعينا إذا ما أدركناه،لأننا بالإلغاء الوساطة بيننا وبينه فقد ألغينا بالتالي احتمال أن يكون الشئ فى حقيقته الخارجية مختلفاً عنه فى وعينا به[2].وأن المعرفة تأتي مباشرة وليس عن طريق حلقة وسطى تتوسط بين الذات العارفة والشئ المعروف.وتقوم هذه النظرية هنا على عدة مبادئ : المبدأ الأول رفض الثنائية التي تميز بين العارف والشئ المعروف،وجعل المعرفة تقتصر على تحليل العلاقة الكائنة بين الذات والموضوع،المبدأ الثاني الجزئيات التي ندركها ، بعضها على الأقل – يكون موجوداً حين لا نكون نحن على وعي به،والمبدأ الثالث أن بعض الماهيات والكليات التي نعيها موجودة وجوداً ضمنياً حين لا نكون

---

[1] متناجو " قصة الواقعية الأمريكية " مرجع سابق صـ ٢٠٥

[2] ذكي نجيب محمود " فلسفةالقيم " صـ ٧١

على وعي بها،وهذه هي الواقعيـــة الأفلاطونيـــة أو واقعيـــة الوجـــود الضمنـــي.
المبدأ الرابع الجزئيات والكليات الواقعية - بعضها علـــى الأقـــل يـــدرك إدراكـــاً مباشراً لا إدراكاً غـــير مباشـــر بفضـــل وجـــود صـــورة منـــه فـــى العقـــل[١].
ونظرية المعرفة هنا عند الواقعية الجديدة و"بيري"في تحليلـــهم لـــها قـــد دمجـــوا ثلاثة مذاهب فلسفية فى مذهب واحد،فالمذهب الأول، هو الـــذى كـــان قـــد شـــاع فى إنجلترا فى القرن العشرين على يدي"جورج مـــور".وعرف ، باســـم "فلســـفة الحس المشترك ".والمراد بذلك أن خبرة الإنسان المباشـــرة فـــى حياتـــه اليوميـــة هي المعتمدة فى معرفتنا بالأشياء التي تقع له فى تلـــك الخـــبرة المباشـــرة.فـــإذا قالت لي خبرتي المباشرة بأن فى العالم أشـــياء كثـــيرة لا وحـــدة بينـــها أخـــذت بهذا القول دون حاجة مني إلى إقامـــة الـــبراهين علـــى كـــثرة الأشـــياء وعـــدم وحدتها[٢].وقد أكد و"ايتهيد"فى كتاب" العلـــم والعـــالم الحديـــث"أن هنـــاك أســـساً من مدركات الحدس وهـــو رؤيـــة مباشـــرة للأشـــياء – التـــي لا تحتـــاج إلـــى برهان وأهمها:أنا موجود فى العالم وليس العـــالم هـــو الموجـــود فـــى ذاتـــي .
العالم يمتد إلى ما وراء الأفاق التي أســـتطيع بلوغـــها.وقـــد كـــان هـــذا العـــالم يمتد وموجوداً مثلي وسيظل موجـــوداً بعـــدي[٣].أننـــي حيـــث أنشـــط بجســـدي لأعمل نشاطا فإنما ينصب ذلك النشاط على عـــالم خـــارج شـــخصي.وأن هـــذه الأشياء مستقلة عن الذات.وإثبات هذه الاستقلال يكـــون علـــى نحـــو مباشـــر وإن المعرفة تتم على نحو مباشر.وليس عن طريـــق حلقـــة وســـطي تتوســـط بيـــن الذات والأشـــياء .
والمذهب الثاني الـــذى أدمجـــه "بيرى" والواقعيـــون الجـــدد هـــو الاعـــتراف " بالوجود الضمني " للمعاني الكلية ، جرياً على المبدأ الـــذى أخـــذ بـــه"أفلاطـــون" فى نظرية المثل وهو أن الاسم الكلـــي ، مثـــل شـــجرة ونـــهر وعدالـــة يطلـــق

---

[١] منتاجيو "قصة الواقعية الأمريكية، مرجع سابق ، صـــ ٢٥
[٢] ذكي نجيب محمود " فلسفة القيم " صـــ ٧١
[٣] المرجع السابق صـــ ٦٦

على مفردات كثيرة مما يندرج معا في نوع واحد فمفردات الشجر لا حصر لعددها.ومع ذلك نطلق على المجموعة كلها اسماً واحداً وهو شجرة . و وما يقال على الشجرة يقال عن كل اسم كلي يجمع مفردات كثيرة، ولكنها ذات طبيعة مشتركة أو جوهر مشترك.وهذا الجوهر الواحد أو الفكرة الواحدة التي تتحد في تلك الحالات المفردة المنوعة وهي ما يسميه "أفلاطون"بالمثال.ولما كانت تلك الفكرة أو المثال يختلف عن المفردات التي تحل فيها من حيث أنها كلية.والمفردات جزئية " لابد أن يكون لها نوع من الوجود غير الوجود الذى يصف به المفردات.فهذه المفردات وجودها علني ظاهر للحواس،وأما الفكرة المستنبطة في تلك المفردات فوجودها ضمني يستخلص استخلاصاً من المفردات التي تجسدها[1]. وهنا يدافع "بيرى"والواقعيون الجدد عن واقعية الوجود الضمني[2] في محاولة إثبات الوجود الحقيقي المستقل للكليات،أو الماهيات التي توجود وجوداً ضمنياً على نفس الطريقة التي نثبت بها الوجود الفعلي المستقل للأشياء أو الأحداث الجزئية .

والمذهب الثالث، الذى دمجه"بيري" والواقعيون الجدد في فلسفتهم هو ما كان واقعيون سابقون قد أخذوا به مثل"جون لوك"من أن إدراك الإنسان لشئ ما إنما يجئ إليه مباشرة.وليس عن طريق حلقة وسطي تتوسط الذات العارفة والشئ المعروف . مجمل الرأي هو ألا وساطة بين العقل المدرك (بكسر الراء) والشئ المدرك (بفتح الراء).ومن هنا يصلون إلى النتيجة المهمة وهي ألا فرق بين الشئ كما هو في حقيقته الخارجية وبينه كما هو في وعينا إذا ما أدركناه.لأننا بإلغاء الوساطة بيننا وبينه فقد ألغينا بالتالي احتمال أن يكون الشئ في حقيقته الخارجية مختلفاً عنه في

[1] منتاجيو ." قصة الواقعية الأمريكية "،صـ ٢٠٧

[2] ذكي نجيب محمود ،" فلسفة العلم "، ضـ ٧١.

وعينا به[1]. ويوضح "منتاجو" قائلا فى دفاعه عن نظرية العرض المباشر فى المعرفة " لكي يدرك شئ من الأشياء لابد أن يستثير حواس الكائن المدرك بأن يبعث موجات ضوئية أو صوتية أو أن يبعث فى الكائن العضوي تأثيراً مشابهاً لتأثير المثير الحسي. وهكذا يكون من الطبيعي أن نحس بوجود مجال أمامنا إذا وجد مثل هذا المجال فعلا ، وأرسل إلى أعيننا بموجات ضوئية. وبذلك يحدث تأثيراً مجدداً فى المخ "[2]. ومن هنا تحدث المعرفة المباشرة مباشرة دون وساطة بين الذات والأشياء المدركة ونظرية المعرفة عند "بيري" والواقعيين الجدد تقر بوجود جزئيات ندركها وهذه الجزئيات موجودة أيضا حتى حين لا ندركها. ووجودها مستقل عن الذات وهي ما تسمي بواقعية الجزئيات. وفى نفس الوقت واقعية الكليات أو الماهيات. وهي أيضا موجودة حتى حين لا نكون على وعي بها. ولكن وجودها وجودا ضمنيا وكل من الجزئيات والكليات تدرك إدراكا مباشرا وذلك لوجود صورة أو نسخة منه فى العقل[3]. والوجود الضمني للكليات على العكس من الجزئيات – يدرك بالعقل إدراكا مباشرا. وفى حالة عدم تفكيرنا فيها وإدراكنا لها ووعينا بها. فهي موجودة وجودا حتى فى حالة غيابنا عنها. وعدم إدراكنا لها. أي أن وعينا لها ليس شرطا لازما لوجودها وكذلك الجزئيات أيضا لها وجود واقعى .مستقل عن الذات. وهي موجودة سواء أدركنها أم لم ندركها. هذه هي واقعية الكليات والجزئيات فى نظرية المعرفة . وهذا الكليات والجزئيات حين ندركها يكون إدراكنا لها إدراكا مباشراً. ولا يأتي عن طريق حلقة وسطى تقع بيننا وبينه على عكس الواقعية عند "لوك" التي كانت تفترض أرتسام صورة ذهنية للشئ الذى

---

[1] الوجود الضملي هو ما يعبر عنه فى الإنجليزية بكلمة subsistence لتميزه من الوجود العيني المحسوس فى الأفراد الجزئية ويعبر عنه فى الإنجليزية بكلمة existence

[2] منتاجو "قبلة الواقعية الأمريكية" صـ ٢٠٨ .

[3] المرجع السابق صـ ٢٠٥

ندركة بحواسنا،ثم يكون فعل التفكير على هذه الصورة الذهنية،فكأن الصورة الذهنية حلقة وسطي تقوم بين الشئ المدرك من ناحية.والعقل المدرك من ناحية أخرى.فالإدراك يأتي مباشراً ويترتب على ذلك نتيجة هامة،وهي ألا فرق بين الشئ كما هو فى حقيقته الخارجية،وبينه كما هو فى وعينا إذا ما أدركناه ، لأننا بإلغاء الوساطة بيننا وبينه فقد ألغينا بالتالي إحتمال أن يكون الشئ فى حقيقته الخارجية مختلفاً عنه فى شعورنا به.و كان"لوك"– وكذلك"ديكارت"يذهب إلى أن عملية أحساسنا بالشئ تغير منه ، كما تغير حرارة الشمس قطعة الشمع بإذابتها ، فإذا ما أدركت عقولنا تلك الصورة الحسية التي رسمها الإحساس للأشياء المدركة.فإنما هي تدرك شيئاً مختلفاً عما هو فى الحقيقة كأنه خارج عقولنا.فنحن مثلاً ندرك اللون الأحمر على نحو مختلف عما كان مبعثاً للإحساس الذى أحدث هذا اللون أو الطعم.وباختصار كان ، "لوك"، يعتقد أننا ندرك " تأثير الشئ فينا لا الشئ نفسه .[1]لكن الواقعيين الجدد"وبيرى" يرون أن الإدراك يكون للشئ نفسه .

وتقوم نظرية المعرفة عند"بيري"على نقد كل من المثالية والبرجمانية على سواء.وكان مدار نقده لكلتيهما هو إصراره على أن يظل للشئ الخارجي وجوده المستقل عن معرفة الإنسان إياه،ولكن"لبيري"إلى جانب نقده للمثالية ، والبرجمانية،عرض مذهبه الإيجابي بالبحث فى نظرية المعرفة فما مشكلة المعرفة فى رأية إلا تحديد العلاقة بين عقل ما وبين ذلك الذى يتصل بذلك العقل علي إنه موضوع معرفته[2] وأول ما يلاحظ بين طرفي العلاقة أي بين العقل العارف من ناحية والشئ المعروف من ناحية أخرى،أو بين العقل والشئ المتصل بالعقل فإن العقل عامل فى كل منهما وخير سبيل فى

---

[1] ذكي نجيب محمود " حياة الفكر فى العالم الجديد "،صـ ٨٧ ،

[2] المرجع السابق صـ ١٩٠ ،

تحليل هذا الموقف هو أن نبدأ بمعرفة ما المقصود بالعقل ؟ وما علاقته بالشئ الخارجي أثناء عملية الإدراك.

ولمعرفة العقل طريقتان تقليديتان ، كان يلجأ الباحث إلى إحداهما أو إلى كليهما حسب وجهة نظره ، فإما أن تستبطن نفسك وتلاحظها من الداخل والملاحظة هنا من الداخل وهي ذاتية مقصورة على صاحبها فقط.وإما أن ينظر إلى الطبيعة أو إلى الناس من الخارج كيف يسلكون فرادي أو مجتمعين، فإذا ما شاهدت الطبيعة كيف يطرد سيرها.والناس كيف يتصرفون على نمط معين هو الذى نسميه تصرفاً عاقلاً ، كان لنا بذلك معني للعقل كما يشاهد من الخارج والظاهر ، وعندئذ تكون المشاهدة موضوعية عامةيشترك فيها كل من أراد . وواضح أن هاتين الطريقتين فى البحث عن العقل لا تؤديان إلى نتيجة واحدة فى كلتا الحالتين،لأن ما يمكن مشاهدته فى الداخل بالتأمل الذاتي، الباطني شيئاً يختلف كل الإختلاف عما يمكن مشاهدته في الخارج بالملاحظة الخارجيه و " الرأي الذى يتقدم به"بيري"فى هذا هو اعتبار الجانبين معاً فى وقت واحد عقلاً.وعندئذ يكون العقل ذا جانبين تنظر إليه من جانبه الباطن.فإذا هو هذا الذى تدركه فى نفسك وأنت تتأملها، وتنظر إليه من جانبه الظاهر.فإذا هو هذاالسلوك الذى نراه "[1]،والعقل هنا شأنه شأن العملة لها جانبان يختلفان كل منهما عن الأخر،ولكنهما فى النهاية عملة واحدة ، وللعقل جانبان مختلفان ولكنهما فى النهاية هما عقل واحد له مظهران:مظهر داخلي باطني حينما نفكر فى باطن أنفسنا.والمظهر الثاني ما نلاحظه خارج أنفسنا من نتيجة التفكير.فهو ليس ما نلاحظه فى بواطن أنفسنا فقط ولا هو الذى نلاحظه خارج أنفسنا بل العقل هو هذا وذاك معاً[2] وتستطيع ان تبدأ من أحد الطرفين وتستدل منه [illegible] على الآخر،فمن مكنون العقل نعرف ما السلوك الذى ينتج،ومن

---

[1] المرجع السابق صـ ٢

[2] المرجع السابق صـ ٢

الناتج السلوكي تعرف ماذا كان في مكنون العقل من مضمون.وليس الطرفان بمختلف أحدهما عن الآخر كما كان الظن قديماً بل ما في الداخل وما في الخارج يتألفان من عناصر بعينها ، اختلف ترتيبها في كلتا الحالتين كانت مرتبة على نحو ما كانت عقلاً من الداخل ، ثم كانت مرتبة على نحو آخر فكانت عقلاً من الخارج.وأما عناصر التكوين نفسها فمحايدة ، لا هي عقلية خالصة ولا طبيعية خالصة[1].فالعقل هنا من طبيعة محايدة لا هو مكون ، من مادة خالصة ولا هو من عنصر روحي. ، خالص بل هو من عناصر محايدة لا هي عقلية ولا روحية ولا مادية.وهذه من أهم المبادئ الفلسفية في فلسفة"راسل"و"وايتهيد"أيضاً.ولكن العلاقة بين نشاط العقل والأشياء التي هي موضوع ذلك النشاط العقلي بري"بيري"أن محالاً أن نفصل بين النشاط العقلي وبين الشئ الذى هو موضوع ذلك النشاط.و نفس الشئ جزءاً من العقل حين يكون موضوعاً لنشاط العقل وعندئذ يكون " فكرة " لكن هذا الشئ نفسه لا تستنفد وجوده هذه العلاقة وحدها،إذ قد يكون بينه وبين شئ آخر علاقة أخرى.وإذن فلا بد من الاعتراف له بوجود مستقل عن كونه موضوعاً لمعرفة عقلية في لحظة معينة وبعبارة أخرى فإن الشئ الواحد المعين قد يكون فكرة " أنا " وشيئاً مادياً " أنا " آخر بل هو في اللحظة الواحدة المعينة قد يكون " فكرة " بالنسبة إلى العقل الذى يدركة.وشيئاً بالنسبة إلى أشياء أخرى بينه وبينها ضروب أخرى من العلاقات[2].على هذا الاعتبار تكون المعرفة علاقة قائمة بين العقل والشئ وذلك هو نفسه الأساس الذى يقيم عليه"بيري" نظريته في القيم .

---

[1] المرجع السابق،صـ ١٩٢ ،

[2] المرجع السابق.صـ ١٩٣ ،

(ب) نظرية المعرفة عند راسل

تقوم نظرية "راسل" في المعرفة على ما يسميه " معرفة بالاتصال المباشر ".وهي المعرفة التي تتم باللقطات الحسية المباشرة للمعات الضوء ونبرات الصوت،ولمسات الصلابة،والليونة،وهلم جراً،تلك المعطيات الحسية – كما تسمى – هى المادة الخام الأولية لكل معرفة.ومنها يبني الإنسان داخل رأسه بناءات ذهنية هي التي تكوّن لنا صور الأشياء.وهي التي تطلق عليها الأسماء مثل شجرة ومنضدة ، فكلمة شجرة مثلاً – لا تعني إلا تركيبة منطقية بنيت في الذهن ضمن معطيات حسية أولية بسيطة . فإذا أردنا أن نحلل فكرة ما لنري إن كان قد تم بناؤها بطريقة مشروعة أو لم يكن الأمر كذلك رددناها إلى أحداثها التي تأثرت بها حواسنا المختلفة من ضوء وصوت وصلابة ... إلخ حتى إذا ما وجدنا بين عناصرها عنصراً لا يرتد إلى حاسة بعينها عند اكتسابه باديءٍ ذي بدء أيقنا أن الفكرة باطلة [1]. ومع ذلك فإن "راسل" يري أن المادة ، رغم وجودها الحقيقي الواقعي ليست موضوعاً مباشراً للمعرفة ، فنحن لا نعرف إلا شيئا واحدا هو معطيات الحواس "[2]. وكان "راسل" في البداية يري أن القول بوجود موضوع المعرفة وجوداً موضوعياً هو أسلم طريق لتفسير المعطيات الحسية.ولكنه غير من رأيه فيما بعد.وتحول إلى نظريته في الذرية المنطقية،والتي تقول بأن العالم يتكون ليس من موضوعات أو أشياء بل من معطيات حسية تترابط فيما بينها منطقياً .

ومعطيات الحواس في رأي "راسل" هي وقائع غير نفسية و مستقلة عن الذات.وهذه المعطيات هي التي تكوّن العالم الواقعي،ولكنها ليست جواهر ، وهذا الموقف يتفق مع "ديفدهيوم" الذي كان يعترف بوجود المعرفة المباشرة بالكليات أو المعاني الكلية بالإضافة إلى معطيات الحواس .

---

[1] ذكي نجيب محمود " نافذة على فلسفة العصر " صـ ١٢٣ ، ١٢٤ .

[2] بوشنسكي " الفلسفة المعاصرة في أوروبا " صـ ٨٨ .

ويقول ذكي نجيب محمود " وأما الواقعيون – ومنهم"راسل"– فيرون أن العالم الخارجي موجود وجوداً مستقلاً عن الإنسان،وأن عملية الإدراك – إدراك الإنسان لما خارج ذاته – وهي سلسلة سببية تبدأ من الشئ الخارجي إلى حواس الإنسان،ثم تنتقل عن طريق الأعصاب إلى المخ ".

الفلسفة الواقعية تعترف بوجود الأشياء الخارجية وجوداً مستقلاً عن الإنسان.وأن المعرفة تبدأ من الواقع الخارجي بل هو مصدر المعرفة الذى منه تبدأ السلسة السببية،حلقة فى أثر حلقة،حتى تتم عملية المعرفة ، والمعرفة لا تتوقف على الإدراك المباشر للمعرفة فقط وإلا أصبحنا سجناء الإدراك الراهن دائماً.إنما المعرفة تمتد إلى أحداث الماضي.أو إلى أحداث يمكن توقع حدوثها فى المستقبل[1]" . والمعرفة المباشرة تبدأ من الواقع الخارجي للأشياء ويتفاعل معها الإنسان على اعتبار المعرفة رد فعل للبيئة،ويفسر الواقعيون المعرفة كرد فعل للبيئة فى ضوء العلم الحديث. ولنضرب لذلك مثلاً من الحياة الجارية،فافرض إنك تشاهد سباقاً وإنك قد صحت " لقد بدأ السباق ".فهذه الصيحة تجئ منك رداً على بيئتك ، وهي معرفة لو كان ردك هذا شبيها بردود الآخرين.فما الذى حدث من وجهة النظر العلمية ؟ حدثت عملية المعرفة فى مراحل أربع:-

(١) مرحلة تقع فى العالم الخارجي بين المتسابقين من طرف وعينيك من طرف أخر .

(٢) مرحلة تقع فى جسمك بين العينين من طرف والمخ من طرف أخر.

(٣) مرحلة تقع حوادثها فى المخ .

(٤) مرحلة تقع فى جسمك بين المخ فى طرف وحركات حلقك ولسانك من طرف آخر وهي الحركات التي أحدثت الصيحة المذكورة " لقد بدأ السباق "

---

[1] ذكي نجيب محمود " الفلسفة بنظرة علمية " صـ ١٤ .

أما المرحلة الأولي فهي تخص علم الضوء بصفة خاصة وهي ترتبط بالرؤية والضوء كما فى المثال السابق،وبمعني أوسع ترتبط بما يصدر من الواقع من مؤثرات قد تكون بصرية أو سمعية أو تشم بالأنف أو تحس بأعضاء الجسم.وفى المثال السابق وهي حادثة بدء السباق.والتي فرضنا أننا قد أدركناها بحواسنا إنما تتصل بسلسلة من الحوادث عن الحادثة التي وقعت على سطح العين الرائية،وهذه الحادثة الأخيرة التي مست سطح العين هي التي تسمي بالمؤثر أو المنبه ، وإذن فليس المؤثر أو المنبه هو الحادثة التي وقعت فى الخارج،والتي تقول إننا أدركناها عندما نبصرها إذ المؤثر هو حادثة أخرى خارجية لمست العين الرائية وبينها وبين " الحادثة الخارجية فى الطرف الآخر صلة على نحو ما يتطلب البحث.ولكن هذا لا يحدث فى حالة اللمس وفى حالة إدراكنا لحالات أجسادنا إذ ها هنا تنعدم المرحلة الأولي[1] من المراحل الأربع التي أسلفنا ذكرها،وهي المرحلة التي تتوسط بين الشئ المدرك والحاسة المدركة .

المرحلة الثانية هي التي تبدأ من عضو الحس وتنتهي فى المخ وعندما يقع الأثر الآتي من الخارج على الحاسة تحدث عند طرف من أطراف الجسم فتحدث سلسلة من الآثار،وتنتقل خلال الأعصاب إلى المخ ، فلو كان المنبه ضوءاً كان حتماً أن يسقط على العين لتنشأ عنه الآثار المطلوبة وباختصار " إن عضو الحس يشبه آله التصوير فهو يتقبل مؤثرات من نوع معين.وبالنسبة إلى حاسة البصر والضوء الساقط عليها تقول إن الضوء الساقط على العين يؤثر تأثيراً يختلف باختلاف طول الموجه الضوئية وشدتها واتجاهها.فإذا ما حدثت أحداث فى العين نتيجة للضوء الساقط عليها تبعتها أحداث فى عصب الإبصار تؤدي فى نهاية الأمر إلى حادث يقع فى المخ،وهو حادث يختلف بإختلاف المؤثرات فى شتي

---

[1]Russell " An outline of the philosphiy,P.16

الحالات التي ندرك فيها اختلافاً.فنحن مثلاً نميز الأحمر من الأصفر في إدراكنا فيما يحدث خلال العصب البصري .وفي المخ لابد ان يكون في حالة إدراكنا للأحمر مختلفاً عنه فى حالة إدراكنا للأصفر.وأما ما يحدث في الأعصاب والمخ فمختلف . في إحدى الحالتين عنه في الأخرى . وإذا وصلت الهزة إلى المخ فقد تحدث مجموعة معينة من الحوادث فى المخ وقد لا تحدث شيئاً فإن لم تفعل كنا على غير وعي بما قد حدث،لأنك لكي تعي رؤية اللون الأصفر لابد أن يحدث نوع من رد الفعل فى المخ لترد به على الرسالة التي نقلها عصب الإبصار، وكثير من الرسائل التي يؤتي بها إلى المخ عن طريق الأعصاب لا تصادف منا انتباهاً ذلك لأن الأشياء التي تكون على هامش مجال الرؤية لا نلاحظها عادة ما لم يكن لها من الجاذبية ما يدعونا إلى الإنتباه إليها وملاحظتها.وعندئذ تحتل مركز المجال البصري إلا إذا حاولنا محاولة مقصودة منع ذلك من الوقوع.وهذه الأشياء الهامشية لا تحدث رد فعل ، وبالتالي تنتهي هذه العملية عند المخ وتختفي من المعرفة مرحلتها الثالثة والرابعة.وعندئذ لا يتم ما تسميه بالإدراك المهم فى هذه المرحلة الثانية الإدراكية يحدث فى المخ أحداث لا نعرف حتى الآن طبيعتها على وجه الدقة ثم تنتقل العملية من المركز الخاص فى المخ إلى مركز الحركة.ومن ثم تنشأ عملية تنتقل خلال أعصاب الحركة لتنتهي آخر الأمر إلى عملية عضلية من شأنها أن تحدث حركة جسدية، وهذا ما يحدث فى المرحلة الثالثة والرابعة .[1]

المرحلة الثالثة : وهي المرحلة التي تقع بين انتقال المؤثر إلى المخ وتنتهي هذه المرحلة فى المخ من حيث إنه يستقبل المؤثر الخارجي،ثم تحدث داخله أحداث لا نعرف حتى الآن طبيعتها على وجة الدقة ، غير أن هذه المرحلة تستقبل المؤثر القادم من الحواس،ثم تحدث أحداث داخل المخ

[1] Ibid P. 19

على أثرها تحدث المرحلة الرابعة التي تعبر عن الاستجابة الصادرة من المخ إلى أعضاء الجسم لتنفعل مع المنبه الذى حدث من قبل، وهذه المرحلة الثالثة تأتي على صورتين حسب الإستجابة المطلوبة : هل هي من قبيل الفعل المنعكس أو هي من قبيل الأفعال المكتسبة ؟ والأفعال المنعكسة مثل العطس،وهي لا تحتاج إلى تعلم بل يولد الإنسان والحيوان مزودين بها ، وعلى عكس الأفعال المكتسبة التي يتعلمها الإنسان ، وهي لا تحدث إلا بعد أن يتأثر المخ على صورة معينة بالأحداث السابقة، ومن الأفعال المكتسبة مثل القدرة على الكلام.فنحن نتكلم لغة معينة نتيجة تعلم واكتساب المعرفة كلها تقريباً هي من هذا النوع المكتسب أي أنها معتمدة على روابط وصلات فى المخ لم تكن مجبولة فى طبيعة تكوينه بل هي نتيجة أحداث طرأت عليه خلال التجارب[1].

المرحلة الرابعة : وهي المرحلة الأخيرة من مراحل المعرفة والإدراك وهي تقع بين المخ من طرف وحركات الجسد من طرف آخر.وهي الحركة التي أحدثت الصيحة " لقد بدأ السباق " وحينما نطق اللسان بهذه العبارة تكون قد تمت دورة المعرفة بمراحلها الأربع.وهذه المرحلة الأخيرة تنقل استجابة من المخ إلى حركات بالجسم الإنساني كما فى المثال السابق " لقد بدأالسباق' تتم المرحة الرابعة لدورة المعرفة وما لم تتم المراحل الأربعة فلا معرفة هناك،والمعرفة هنا تصبح عملية فاعلة وليست مجرد تأمل سكوني ، والمعرفة تبدأ من الواقع فهي قراءة للواقع والطبيعة التي دائماً ما يحاول الواقعيون أن يثبروا ' أغوارها ويكشفوا أسرارها من خلال المنهج الذى يرتضيه الفيلسوف الواقعي الذى يستفيد من نتائج العلوم الطبيعيةوالإنسانية .

[1] Ibid P. 20

(جـ) نظرية المعرفة عند وايتهيد

ترتبط نظرية المعرفة عند"وايتهيد"بالوجود ، فقوام العالم كائنات فعلية أو عوابر فعلية Actual occasions،العالم فى تغير وتطور وحركة وعمل وسير ، فالطبيعة كلها حركة دائبة،وهي فى تغير لا يتوقف،وهي فى تغيرها تخلق تركيبات جديدة ليس لها شبيه فى الماضي،ومن ثم يكون التطور والترقي والتقدم ، ولذلك فهذا التغير يتجه إلى هدف وغاية محددة فالطفل فى تغيره الدائم من حالة إلى حالة إنما يسير بتغيره هذا نحو أن يكون رجلاً ، وهكذا فى كل شئ ، والكون يتكون من كائنات فعلية ولكن السؤال الآن ما هي الكائنات الفعلية ؟ الكائنات الفعلية التي هي قوام الوجود هي حالات من خبرة – أنظر إلى نفسك وأنت على وعي بما يحيط بك تجد فى نفسك سيلا من الخبرة – أعني وعيك بما تدرك أي ما يقع تحت إدراكك فهذه الخبرة التي تتتابع فى نفسك قطرات[1]،قطرة فى إثر قطرة ، هي قوام العالم فليس قوام العالم ذرات من مادة ولا وحدات من روح ولا مجموعة من العناصر بل قوامه قطرات من خبرة ، كل كائن فعلي هو نبضة خبرية يدرك بها النابض بخبرته وجود ذلك الكائن الفعلي ادراكاً مباشراً وإن تتابع نبضات الخبرة أو قطراتها يشعر الكائن صاحب تلك الخبرة بشعورين فى وقت واحد : يشعر بفرديته التي يتفرد بها فى تلك الخبرة الخاصة ثم يشعر بأنه رغم فرديته إن هو إلا جزء تجاوره أجزاء أخرى بحيث يدخل معها فى نسيج واحد هو الوجود و هنا يستعمل"وايتهيد"اصطلاحاً آخر من اصطلاحاته الكثيرة وهو لفظة prehensions التي تعنى التشرب أو الامتصاص أو الهضم أو الإدراك على خلاف بين الباحثين إنه يعبر عن " احتواء الفرد للكل الذى حوله

---

[1] يري زكى نجيب محمود أن التعبير عن الكائنات الفعلية بعبارة قطرات الخبرة drops of experience هو من المعالم البارزة والمميزة لفلسفة وايتهيد .

وإدخاله معه إدخالا فى عملية تطوريه واحدة فى هذه الوحدة التي يندمج الفرد بغيره من الكائنات يكون الفرد ذاتا شاعرة بما حولها، وتكون تلك الكائنات بمثابة الموضوعات التي تتناولها تلك الذات بخبرتها، وإذن فالموقف الذى نسميه خبرة يتألف من مركز ذاتي فردي خاص من جهة وأشياء خارجية موضوعية عينية علنية من جهة أخرى.الأول يكون هو الذات الخابرة.والثاني يكون هو الجانب المخبور.والإثنان معاً يكونان وحدة لا تقبل الإنقسام.هي التي تمثل قطعة من الحياة.وهي فى حالة التجاوب مع سواها من حقائق الوجود ، وفى هذا التجاوب بين الذات ومحيطها تكون العلاقة أشبه شئ بانسياب تيار من الخارج إلى الداخل،من الموضوع إلى الذات، وكذلك من الماضي إلى الحاضر، لأن كل ما هو هناك ينساب تياره إلى هنا،إنما هو سابق فى الزمن مهما كانت فترة الأسبقية بالغة القصر – أي أنه ماض بالنسبة إلى حالة الخبرة به ، وبهذه النقلة من الماضي إلى الحاضر من حيث الزمن.ومن الخارج إلى الداخل من حيث المكان ، تتم عملية الخبرة التي يندمج الفرد بمحيطه." وهكذا تري"وايتهيد"فى تحليله للموقف الشعوري أو الموقف الخبري يدل أنه يذهب إلى ما ذهب إليه"كانط"من حيث خلع الإنسان لذاته على ظواهر الأشياء التي يدركها فيصوغها على قوالب تلك الذات ووسائلها،يجعل خبرة الذات وليدة العالم الخارجي وصنيعته: "[1]. والذات فى حالة خبرتها بمحيطها الخارجي لتخلق نفسها بنفسها أثناء عملية الخبرة نفسها ، فلا هي كانت هناك قائمة قبل ممارستها بخبرتها،ولا هي من خلق عامل خارجي عنها،وما يحدث أن هنالك كثرة من أشياء تحيط بمن سيتناولها بخبرته ، فإذا ما تناولها خابر بخبرته جعل من كثرتها تلك وحدة ، لأنه سينظر إليها من وجهة نظر واحدة ، ويلاحظ أن توحيدها على هذا النحو فى خبرته هو

---

[1] ذكي نجيب محمود " حياة الفكر فى العالم الجديد"،صـ

تكوين فريد ، لا تكرار له فى أي خبرة أخـــري ، ويلاحـــظ كذلـــك أن صـــاحب هذه الخبرة هو الذي يقرر ما الأجزاء التي ســـيضم بعضـــها إلـــى بعـــض فـــى خبرة واحدة متماسكة بحيث تصبح وإياه جزءاً مـــن كـــل عضـــوي ،ويجـــب أن تحقق له غاية منشودة[1]. وفي الحقيقة أن الإنسان يتصور أن هنالك ثـــباتا دائمـــا فـــى نفسه وفى الموجودات ، التـــي ندركـــها لكـــن "وايتـــهيد"– يجعـــل الداخل والخارج معا فى تغير لا ينقطع فـــلا ينفـــك مـــا حولنـــا يتغـــير وكذلـــك الذات المدركـــــة تتغـــيرولا تثبـــت علـــى حالـــة إدراكيـــة واحـــدة لحظتيـــن متتابعتين وكان"هرقليطس"– وهو من فلاسفة اليونـــان الســـابقين علـــى ســـقراط يذهب مذاهب التغير فى الأشياء ، وقد صور ذلـــك فـــى عبارتـــه المشـــهورة " إنك لا تعبر النهر الواحد مرتيـــن " ومعناهـــا إنـــك حيـــن تعـــبر النـــهر للمـــرة الثانية يكون نهراً آخر فليس الماء هو نفسه المـــاء الـــذى كـــان وجـــاء"وايتـــهيد" فوسع من المبدأ نفسه بحيث شمل كـــل الـــذات أيضـــاً حتـــى ليصـــح أن يقـــال عنها عبارة شبيهة بتلك فتقول: إنـــك لا تفكـــر الفكـــرة الواحـــدة مرتيـــن " أو إنك لا تمارس الخبرة الواحدة مرتين لأنك فى كـــل لحظـــة تتغير ذاتـــاً بتغـــير موضوع إدراكك وهكذا يكـــون العـــالم – ذاتـــاً وموضوعـــاً – خلقـــا جديـــداً لا يدوم على حالة واحدة لحظتيـــن متتـــابعتين ، والإنســـان فـــى تغـــير لا يتوقـــف فهو حينما يفعل ذلك يكتسب صفات وخبرات جديـــــدة وكذلـــك يطـــرح صفـــات أخرى ولابد للإشارة إلى الاستقراء ونظريته فى الســـببية فـــى المعرفـــة حيـــث أن الاستقراء يقوم فـــى الانتقـــال مـــن خصـــائص فرديـــة إلـــى وصـــف عـــام لمجموعة من الحادثـــات Occasions[2] فهو الانتقـــال مـــن الجزئيـــات إلـــى الكليات وهذه الجزئيات لها وجود فـــى ســـواء كنـــا على وعـــي بـــها أو لـــم نكن على وعي بها.وتلعب الحواس دوراً هامـــاً فـــى الإنتقـــال مـــن الجزئيـــات

---

[1] المرجع السابق صـــ ٢٣١

[2] المرجع السابق صـــ ٢٣٢

الى الكليات – حيث أن "وايتهيد" يري أن العلم يبدأ شوطه من خبراتنا التي تقع لنا عن طريق الحواس أو في مجال التفكير ، ثم يعلو على هذه الخبرات درجة بأن يصوغ الصياغات العامة،وهي القوانين العلمية ، ونقطة البدء من الحالات الفردية الجزئية التي نصادفها في حياتنا اليومية أو في حياتنا العلمية على حد سواء،ثم تجئ الفلسفة فتكمل الشوط سائرة في الإتجاه نفسه،ومستخدمة النهج ذاته.وذلك بأن تتناول الأحكام العامة التي وصلت إليها العلوم المختلفة.لتحللها وتردها إلى الأصول الأولى التي منها إنبثقت أو التي تستند إليها،وهاهنا تلتقى العلوم الرياضية والعلوم الطبيعة جميعا في أصولها المنطقية الموحدة لتكون هذه الأصول العميقة المشتركة هي الميتافيزنقيا أو الفلسفة. والمنهج هنا واحد في التفكير العلمي والتفكير الفلسفي ففي كليهما يبدأ الباحث من معطيات المشاهدة والخبرة الذاتية،ثم يصوغ أفضل نظرية ممكنة لتفسير تلك المعطيات المباشرة.ثم يعود بالنظرية المفترضة إلى عالم الواقع ليلتمس لها التطبيق على وقائع جديدة.وكذلك المنهج الفلسفي عند "واتيهيد"[1] حصيلة من معلومات أولية نغترفها من الخبرة المباشرة.ثم إقامة إطار نظري يفسر لنا جوانب تلك الخبرة ، ثم تطبيق لهذا الإطار النظري نفسه على حقائق أخرى جديدة.فإذا انطبق كان هو المبدأ النظري المقبول في تفسير الكون وظواهره وإذا عجز عن التفسير الكامل يعدل بما يسد فيه ذلك العجز[2].وهكذا يتضح التشابه التام بين المعرفة العلمية والمعرفة الفلسفية من حيث المنهج.وأن الفرق بينهما هو فرق في درجة التجريد والتعميم،ففي النظرية العلمية تفسير أحد جوانب العالم، وفي النظرية الفلسفية تفسير للكون بكل ما فيه،

---

[1] ذكى نجيب محمود " ناقذة على فلسفة العصر "،سلسلة كتاب الوعي ، الكويت . العدد ٢٧ ، ١٩٩٠ صـ ٩٧ .

[2] المرجع السابق صـ ٩٧ .

وفى كل من المعرفة الفلسفية والمعرفة العلمية البدء من المعطيات المشاهدة والخبرة الذاتية المباشرة إلى الإطار النظري الكلي الذى يفسر هذه الخبرة المباشرة.وإذا كانت المعرفة الجزئية معرفة مباشرة فإن المعرفة الصورية أيضاً تكون معرفة مباشرة.ولذلك يؤكد"وايتهيد" على واقعة أننا حائزون على معرفة مباشرة مزدوجة : الأولي معرفة المعطيات الحسية (sense - data) ومعرفة السببية causal[1]، والمذهب التقليدي لا يعترف إلا بالنوع الأول من المعرفة المباشرة.ولا يري فى السببية غير افتراض أو نتيجة.ولكن الحقيقة فى رأي"وايتهيد"أننا تدرك الفاعلية السببية causal efficacy ادركا مباشراً وهي ليست أقل من بنية فوقية ذهنية ولكنها تؤسس المعرفه عن طريق المعطيات الحسية • التفرقة بين الجزئيات والكليات عند"وايتهيد"قد أدت إلى أن قدم"وايتهيد" العالم على أنه عالم صوري،وعالم مادي،ولكن العالمين , جانبان من شئ واحد ، وقديما إفترض الفلاسفة وجود عالمين . عالم الصورة من جهة , وعالم المادة من جهة أخرى.أو عالم الممكنات وعالم الواقع.وخير من عبر عن ذلك"أفلاطون"حين إفترض وجود عالم المثل أو النماذج وهو الجانب الصوري عند"وايتهيد"وهناك عالم المادة المحسوسة.وقد ذهب سانتيانا وهو فيلسوف معاصر – إلى وجود عالم الماهيات وعالم الوقائع الفعلية.الأول فيه أفكار عما يمكن أن يحدث،والثاني فيه ما قد حدث فعلاً • وكذلك"وايتهيد"يجعلهما عالمين أو على الأصح يجعلهما جانبين من عالم واحد : عالم أزلي فيه كائنات عقلية صورية.وعالم مادي فيه هذه الجزئيات الحسية.العالم الأول ثابت مثل الصيغ الرياضية.والعالم الثاني متطور متغير والجديد الذى قدمة"وايتهيد"أن عالم الصور هو عالم ، للرياضيات ,

[1] بوشنسكي " الفلسفة المعاصرة فى أوروبا " ترجمة عزت قرنى ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت العدد ٣٦٥ ، ١٩٩٢ صـ ٣٦٥

مجهولات الدلالة حتى إذا ما حسب فيها هذا الشئ المادي اكتسبت به دلالة معينة محددة هذا من جهة،ومن جهة أخرى فإنه لا يري أن يفصل بين العالمين فصلاً يجعل أحدهما أعلى والآخر أدني ، كما فعل"أفلاطون"، بل إنه يري أن عالم الصور الرياضية الأزلية مشتق من الكائنات العقلية ، إذا ليس ثمة إلا هذا العالم بكائناته،ثم يجئ العقل فيستنبط من كل كائن صورته الرياضية.ويظل يضم الصور الرياضية بعضها إلى بعض حتى يتكون له المبدأ الأول الذى يكون عالم الأشياء قد صيغ بمقتضاه"[1]. فالمعرفة المباشرة هي الأساس الأعظم للحياة الذهنية.أما التعليم بالكتب فيقدم المعلومات بشكل غير مباشر ، ولهذا لا يمكن أن يرقي إلى أهمية الممارسة المباشرة . " إن هدفنا أن نري الأحداث المباشرة فى حياتنا أمثلة تطبيقية لأفكارنا الكلية ، أما الكتب فتقدم لنا معلومات مأخوذة عن أفكار مستقاة من معلومات مارسها الآخرون وأعظم إنجاز"لفرنسيس بيكون"إنه ثار ضد المعرفة غير المباشرة، وأعظم ميزة لتعليم علمي يجب أن تكون إقامة التفكير على الملاحظة المباشرة"[2]" .

التفكير الذى يثيره العلم تفكير منطقي.والمنطق نوعان : اكتشاف،ومنطق ما سبق اكتشافه ، ومنطق الاكتشاف يقوم على الوقائع وفحص الفروض بتجارب مناسبة،وهو المنطق الإستقرائي.أما منطق ما سبق اكتشافه فهو استخراج الجزئيات التي يمكن أن تقع فى ظروف معينة على حسب قوانين الطبيعة المعروفة.وتكون القوانين قد كشفت من قبل.ويتوقف استخدامها على المنطق القياسي.وما الرياضيات إلا جزء من التفكير القياسي ، ويري"وايتهيد"أن أسوأ ما فى التربية العلمية أن المعلمين

---

[1] ذكى نجيب محمود " نافذة على فلسفة العصر " صـ ١٠١

[2] وايتهيد " أهداف التربية " صـ ٧٢،٧٣

يدفعون تلاميذهم إلى حشو عقولهم بالنتائج الضيقة لهذا العلوم مع أن المهم هو " أن يكون المنهج كلياً واضحاً باستمرار أمام أعين التلاميد "[١].

ويري"وايتهيد"أن المعرفة الحقيقية هي المعرفة الواضحة والدقيقة.ولكن الوضوح المطلق والتدقيق المطلق في المعرفة أمر مستحيل.والدقة والوضوح نجدهما في المنطق وعلوم الرياضيات." فالمنطق هو الملاذ الذي يلوذ به ذو العقول النيرة ".ومن المؤسف ان المناطقة لا يمكنهم الاتفاق حين يلتقون،وحتى الرياضيون يختلفون فيما بينهم أيضاً وهنا يتساءل "وايتهيد"كيف يمكن أن يكون هناك فهم إذا كان اليقين التام مستحيلاً ؟ وهنا يرجع"وايتهيد"إلى الرياضيات حيث " يكون لدينا معرفة واضحة نسبياً . وبعبارة أخرى بأن معرفتنا بالمركبات أوضح بكثير من معرفتنا بما يسمي العناصر الأصلية ؟.إن العالم معقد متشابك وليس فيه شئ منعزل عن سواه.ومن أجل ذلك يجب أن نقنع بالمزج بين الوضوح والإبهام "[٢].وما زال هذا الكون متماسكاً عضوياً ، وما دامت المعرفة الإنسانية محصورة فإننا لا نستطيع أن يتوفر لدينا الوضوح واليقين في أي جانب من جوانب الكون ... وهو يشير باستحسان كبير إلى تناول"أفلاطون"للمعرفة فإن "أفلاطون"قد " قدم صورة لا تداني للعقل الإنساني في العمل ، بما فيه من نواةٍ للوضوح وللتشكيل النظري للإدراك المتجدد،ولاكتشاف الدقائق المتصلة بالفهم الجزئي،ولإلاستنتاج النهائي بما فيه من كشف عن مشاكل أعمق لم تحل بعد[٣].

ويري "وايتهيد" أنه إذا "لم تحذ الجامعات حذو "أفلاطون" فإنها ستقع في مرض لا يقبله العقل من حيث إدعاء اليقين المطلق إدعاء جازماً وهو

---

[١] المرجع السابق،صـ ٧٥ .

[٢] جونسون،" فلسفة الحضارة عند وايتهيد "،صـ ١٣٠ .

[٣] المرجع سابق،صـ ١٣١

صورة للمعرفة المشوهة الضحلة من غير نعمة الحكمة المنقذة التي تعترف بتحدي الأعلى "[1]. ويعترف "وايتهيد" بالأخطار التي تكمن في السعي وراء المعرفة التي لا تحميها القيم الإنسانية، فحين توضع المعرفة في أيد مهملة قد تكون بداية الحريق الذى لا يؤدي إلى تدمير بناء المعرفة فحسب بل إلى تدمير الحضارة التي تقوم عليها[2].

ويري "وايتهيد" أن المعرفة علاقة تقوم في داخل إطار الطبيعة وتفاعل يتضمن التغيير المتبادل ، فعندما أري ضوء أحمر يكون معني ذلك أن ثمة حدثاً مركباً يحدث فى الغرفة وتشارك فيه كل من عينى وعقلي والمصباح المضأ والغرفة وما فيها من أشياء. فهذا الإدراك ليس إدراكاً عبر الفراغ فهناك فى مثل هذه التجربة تثنية فى الوحدة دون الثنائية[3]. إنه يري أن المعرفة مباشرة وأن ذلك الذى يعطي إلينا هو العالم الفعلي . هناك طبيعة واحدة وهي التي تعطي إلينا فى الإدراك ، ونحن فيها . فالمعرفة علاقة تقوم فى داخل إطار الطبيعة.وبذلك ترتبط المعرفة بتصور "وايتهيد" عن الطبيعة.وهو يؤكد على أن الأشياء ليست موضوعات راكدة غير متحركة،ولكنها أحداث وعمليات.وهذه الأحداث تقع فى نسيج الطبيعة ، وثمة ترابط متبادل بين كافة الأشياء التي تحدث فى العالم، وكل شئ عبارة عن تتابع أحداث تكوّن فى مجموعها نمطاً تتابعياً . والأشياء لا تتوقف على جملة أجزائها المكونة لها بل على نمط تشكيلها وهو نمط متحرك .، وبعد عرض نظرية المعرفة عند وايتهيد وراسل وبيري عرضا فلسفيا فإن الدراسة في الصفحات الآتية سوف تتناول المعرفة بين المعلم والمتعلم.

---

[1] المرجع سابق، صـ ١٣١ .

[2] المرجع سابق،صـ ١٣١ .

[3] جون لويس،" مدخل إلى الفلسفة "،ترجمة أنور عبد الملك ، لبنان المكتبة الإشتراكية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٨ ، صـ ٢١٣

ثالثاً :- المعرفة بين المعلم والمتعلم

ترتبط التربية بالمعرفة حيث أن التربية فى جوهرها هي " اكتساب معرفة "[1] بل أن المهمة الرئيسية للتربية هي تمكين العقل من بلوغ المعرفة إلى أبعد مدي تسمح به حدوده الطبيعية[2]. كما أن أحد أهداف التربية السعي وراء المعرفة التي تتمثل فى مجموعة من المفاهيم عن نظام الكون وأجزائه، و المعرفة العقلية تركز على المعارف والحقائق والخبرات المعرفية التي تتصل بالإنسان والحيوان والنبات والطبيعة بأرضها وسمائها ونجومها وبحارها.وتمثل التربية العقلية هنا مركزاً أساسياً فى الفلسفة الواقعية المعاصرة فهذه التربية العقلية مازالت لها مكانة ممتازة فى العالم سواء كان من ناحية المناهج أو المعلم والمتعلم وطرق التدريس. وتمثل التربية العقلية فى الفلسفة الواقعية المعاصرة مكانة هامة ، فهي تربية تريد أطفالاً ينشأون على التفكير الحر غير المقيد بنوازع الذات،أو مادرج عليه الكبار من آراء.المهم أن التربية العقلية تركز على المعلومات والحقائق والمعارف والمفاهيم التي تعمل المدرسة على إكسابها للتلاميذ. وهذه المعلومات تقدم فى صورة مواد دراسية وهي تتطلب معلما قادراً على توصيل المعلومات إلى التلاميذ.وفى نفس الوقت تتطلب متعلما قادراً على استيعاب المادة الدراسية.كما تتطلب المعرفة وسيلة لنقلها من المعلم إلى المتعلم وهي اللغة.وكذلك تتطلب من المعلم طرقاً محددة لنقل المعرفة واختيارات لقياس مدى اكتسابها.وترتبط المعرفة بكل من المعلم وطرق تدريسه وعلاقته بالمتعلم واختياراته من جانب،ومن جانب آخر بالمتعلم وميوله وحاجاته واستعداداته وسلوكه ونشاطه.كما ترتبط المعرفة بكل من المجتمع والبيئة،ومراحل نمو الإنسان واللغة والمادة الدراسية وأهداف التربية.

---

[1] Brubacher " Modern philosphies " P 83

[2] Ibid P. 83

وفى الصفحات التالية تشير الدراسة إلى أهمية ذلك فى الفلسفة الواقعية المعاصرة عند"بيري"و"راسل"و"وايتهيد".

٢- المعلم فى الفلسفة الواقعية المعاصرة :

للمعلم دور أساسي فى التعليم حيث يقوم بتلقين التلاميذ المعارف والحقائق والمعلومات بالشرح والتوضيح لمحتوى المنهج الدراسي لتلاميذه مستخدماً طرقاً تعليمية ووسائل توضيحية لنقل هذه المعارف والمفاهيم إلى التلاميذ.ولا يتوقف دور المعلم على انه ملقن للمعلومات،ولكنه موجه ومرشد لتلاميذه، فهو مشجع للتلاميذ على المشاركة فى العملية التعليمية عن طريق المناقشة والحوار والإثارة مع تلاميذه.كما يشجع تلاميذه على توجيه الأسئلة والاستفسار عما يشاهدون،ويوجههم للحصول على المصادر المتنوعة للمعرفة والمعلومات الصحيحة،كما يشجع تلاميذه ،على التفكير الحر والنقد العلمي البناء،وتنمية الروح النقدية لدي التلاميذ ويجب على المعلم أن " يشجع التلاميذ على قراءة كتب فيها آراء مناقضة لآراء المدارس "[١]، فلم يعد دور المعلم المهدد بالعقاب لكل من لم يحفظ المعلومات،ولكنه يشجع التلاميذ على تنمية القدرة على كيفية جمع المعلومات وتنظيمها وصياغتها بأسلوب علمي،والمعلم ،هنا لا يقدم المعلومات والمفاهيم ولكنه ينمي لدي تلاميذه كيفية انتقاء هذه المعلومات ونقدها،ودور المعلم لا يتوقف عند دور الملقن بل دوره الحقيقي هو تنمية تلاميذه فى جميع الجوانب،وليس فى الجانب المعرفي فقط،بل هدف المعلم هنا أن يساعد على نمو التلاميذ النمو المتكامل المنشود،وفى ذلك يقول "راسل":التربية هي إتاحة الفرصة للتلميذ للنمو الطبيعي "[٢]،وهو فى ذلك يختار المواد الدراسية التي تساعد التلاميذ على تحقيق الأهداف التربوية السليمة المنشودة،ومن هنا لا ينظر المعلم إلى المادة الدراسية على انها

---

[1] Russell "Education and social order " P. 64

[2] I bid . P. 42

مقدسة لا تقبل التغيير أو التعديل بل يعدل فيها إذا دعت الحاجة تمشياً مع طبيعة التلاميذ وظروفهم وحاجاتهم وميولهم.وفى نفس الوقت يراعي البيئة وحاجاتها.ولا يتوقف دور المعلم على أنه ملقن فقط بل هو الموجه والمرشد الذى يشجع التلاميذ على التعاون مع بعضهم وتنمية مهارات العمل الجماعي ، وتدريبهم على جمع المعلومات ليس من الكتب وحدها بل من البيئة والمعمل والمكتبة والمواقف المباشرة كلها مصادر للمعلومات ، ولذلك يعمل المدرس على تدريب التلاميذ على النقد البناء للمعلومات والمعارف،واستخدام المنهج العلمي والأساليب الديمقراطية السليمة،كما ينمي فيهم روح الابتكار والإقدام والقدرة على حسن الاختيار والتطبيق والاستنباط.وينظم المعلم مع تلاميذه ما يحتاجون إليه من زيارات ورحلات ومعسكرات،فلم تعد العملية التعليمية داخل المدرسة فقط بل لابد من الاستعانة بالبيئة الخارجية،كمصدر للمعلومات واكتساب للمهارات بالإضافة إلى الكتاب فهناك المكتبة والمعمل والرحلات والمصانع،فهي مصادر لاكتساب المعارف والمفاهيم الصحيحة.ولم يعد التركيز على الجانب المعرفي فقط بل هناك التعلم المهارى والتعليم الإدراكى وحل المشكلات.وبذلك يعمل المعلم على توجيه تلاميذه ومساعدتهم على حل المشكلات ومتابعتهم أثناء القيام بالأنشطة المختلفة،كما أن المعلم لا يفرض أراءه على التلاميذ إنما هو يعمل على تنمية الحرية الفردية للتلاميذ،وفى ذلك يقول"راسل"[1] فالمدرس السيئ يميل إلى فرض آرائه فرضاً على تلاميذه بحيث يشكل عدداً كبيراً منهم بعقلية واحدة ومزاج واحد وأسلوب واحد "[1]،ولكن المدرس الناجح هو الذى لا يفرض آراءه على تلاميذه ولكنه يناقشهم ويوجههم بموضوعية ما أمكنه ذلك،ويترك للتلميذ حرية الإختيار من البدائل المطروحة.وأما المدرس السيئ " فقد يجعل التلاميذ – يجيبون على سؤال غير محدود و يعتمد أكثر ما يعتمد على الرأي

---

[1] Russel " political I deals " p. 10

الفردي - إجابة واحدة وأغلب المدرسين لا يطيقون مثل هذا الرأي الغريب من تلميذ "[1]. وهذا الكلام لا ينطبق على المدرسين فحسب ولكنه على كل من يملك نفوذاً وسيطرة على عدة أشخاص فى مؤسسة ما، أو فى عمل ما ، فإن مثل هؤلاء يطلبون ! ممن يعملون تحت أيديهم هذا القالب الواحد الذى يحيلهم إلى آلات بشرية،والنتيجة إنهم يقتلون روح الفردية والشخصية إذا أمكنهم،فإن لم يمكنهم فإنهم يضطهدونهم بكل وسيلة وسلاح ، [2]، فمثلاً هذه العلاقة بين المدرس والتلميذ تقتل الروح الفردية للتلميذ كما تقضي على ملكته الإبداعية.كما تنشر روح العداء لدي التلميذ تجاه ،معلمه.

ولذلك يري"راسل"أنه " يجب أن تتاح الفرصة للطفل للتعبير عن نفسه من خلال البحث والتنقيب والاتجاهات الفنية وإلا تحول ذلك إلى كراهية التلميذ للمعلم والمادة العلمية أيضاً ولذلك من الأفضل " أن يكون حب المعلم لتلاميذه هو الأهم فى السنوات الأولي"[3]،ودور المعلم أن يشجع التلاميذ على التفكير المتحرر،فإنهم سرعان ما يتعلمون،كما إنهم سوف يعبرون عن أفكارهم هم وليس عن أفكار غيرهم.ولا يميل"راسل"إلى أن يفرض المعلم آزاءه على تلاميذه أو أن يوحي إليهم بها بل يجب عليه أن يشجعهم على إعمال عقولهم فى المشكلات،واتخاذ الموقف الذى يرونه صحيحاً.و يجب على المعلم أن يكسب تلاميذه المعرفة والعادات العقلية لتكوين الآراء المستقلة وليس من واجبه أن يشكل تلاميذه وفق نمط محدد من قبل،وهذا يتطلب أن يكون المعلم مستقل الرأي وغير متحيز لأي حزب.وكذلك يعلم تلاميذه استقلال الرأي والتفكير الحر." كما يجب أن تتاح الفرصة للطفل للتعبير عن نفسه "[4]،وكذلك يري"راسل"ضرورة أن يكون المعلم

---

[1] I bid . P 11

[2] russell " Education and social order " P. 58

[3] راسل فى التربية صـ ٢١١

[4] Russell " Education and social order " P. 58.

متحرراً في تدريسه صادراً فيما يعلمه للتلاميذ عن دخيلته،لا عن أيديولوجية الدولة،فهو يعمل على تنمية تلاميذه دون تقييدهم ودون أن يعمل على صبهم في قوالب أعدت لهم من قبل،وتربية الأطفال على حرية الرأي،وهي تربية تجعل الأطفال " ينمون بدون خوف بل يكونون سعداء "[1].

(ب) المتعلم :-

إذا كان المعلم هو حامل لواء المعرفة في العملية التعليمية،فإن المتعلم هو المتلقي للمعرفة.ولكن دور المعلم لا يقف عند تعويد التلاميذ على السلبية و الاعتماد الكلي على المعلم ولكن المتعلم نشط وفعال،والتربية في الفلسفة الواقعية المعاصرة لا تهدف إلى نقل المعرفة والمعلومات من المعلم إلى التلاميذ فقط ،بل تهدف إلى تنمية شخصية المتعلم من الناحية الجسمية والعقلية والمعرفية والإجتماعية،ولم تعد المادة الدراسية غاية في ذاتها بل وسيلة لتنمية التلاميذ النمو المتكامل،وتعمل على تنمية مهارتهم و إمكاناتهم إلى أقصي حد ممكن،ولذلك تعمل المدرسة على تنمية ميولهم الإجتماعية على نحويجعلهم يشعرون بالإنتماء إلى جماعة تحبهم ويحبونها،وكل هذا يشعرهم بالاطمئنان والسعادة،وكذلك المعلم لا يقدم إلى تلاميذه إلا المادة العلمية التي تناسب مستوى تلاميذه.فإذا أرغم المعلم تلاميذه " لحل المشاكل التي فوق طاقتهم فإن نوعاً من الرعب الشديد يحل بهم "[2]. وهنا ، يؤكد الواقعي المعاصر على ضرورة أن تكون المادة العلمية مناسبة لسن التلميذ وحاجاته وميوله،ولذلك كثير من الناس سيئون في الحساب وذلك لأنهم تعلموه عندما كانوا صغار السن لدرجة إنهم لم يستطيعوا أن يفهموه،ويقول "راسل": أن الحساب والرياضيات إذا درست في عمر مبكر جداً فإن كثيراً من الطلاب سيحصلون على حماقة مصطنعة " فلنمنع هذا التعليم السيئ إذ

---

[1] I bid P. 59.

[2] I bid p. 160

من الضـــرورى أن يكـــون لـــدي المدرســـين بعـــض المعرفـــة الســـيكولوجية للأطفال.وكذلك يجب أن يكـــون لديـــهم تدريـــب فنـــي فـــى فـــن التدريـــس "[١] والمعلم الناجح يرشد تلاميذه علـــى حـــب المعرفـــة ويشـــجعهم علـــى البحـــث والإطلاع حباًللمعرفة ذاتها وليس خوفاً مـــن العقـــاب.ويشـــجع تلاميـــذه علـــى الشعور بالحاجة إلى المعرفة.ولكن " المعرفـــة التـــي تُمـــل التلميـــذ وتضجـــره قليلة الفائدة ، أما المعرفة التي يقبل عليها ويهضمها فتســـتقر فـــى نفســـه ملكـــاً دائما له "[٢].ولكي تستقر المعرفة لـــدي التلاميـــذ لابـــد أن تكـــون لـــها علاقـــة قوية بالواقع.ولذلك ينصح"راسل"المعلـــم أن " يحـــرص تمامـــاً علـــى أن تكـــون العلاقة بين المعرفة وبين الحيـــاة الواقعيـــة واضحـــة لأعيـــن تلاميـــذه "[٣].بـــل أكثر من ذلك يـــري"راســـل" أن المعرفـــة الموجـــودة لـــو اســـتعملت بطـــرق صحيحة لاستطعنا فى ظرف جيل واحـــد أن نظفـــر بســـكان يكـــادون أن يخلـــوا من الأمراض والنزوع إلى الشر والغباء "[٤].ولذلك ينصـــح المعلـــم بـــأن يفـــهم تلاميذه " كيف يمكن بواسطة المعرفـــة تغيـــير العـــالم وتعديلـــه "[٥]لأنـــه لـــن يتغير العالم إلا بالمعرفة وبغير المعرفة لا يمكن بناء دنيـــا نحقق فيـــها آمالنـــا ولكن ما طبيعة هذه المعرفة ؟ إنه المعرفـــة القائمـــة علـــى الحـــب والمرتبطـــة بالواقع.ولذلك يقول"راسل" مما يؤسف له الفصل بيـــن المعرفـــة وبيـــن الحيـــاة "[٦].فإذا حدث تكون المعرفة مملة وغـــير ممتعـــه،ولكـــي يتحقـــق ذلـــك يجـــب على المعلم دائماً أن يكون حليفاً للتلميذ الطبيعـــي لا عـــدوه.وعليـــه أن يظـــهر ذلك " وإذا أحسنت التربية فى السنوات الأولى فـــإن هـــذه النصـــائح كافيـــة لأن تجعل تحصيل المعرفة عملية ممتعة للأغلبية العظمـــي مـــن البنيـــن والبنـــات " .

---

[1] I bid. P 161.

[٢] راسل فى التربية صـــ ١٩٧

[٣] المـــرجع الســـابق صـــ ١٩٧

[٤] المرجع السابق صـــ ٢١٢

[٥] المرجع سابق صـــ ١٩٧

[٦] المرجع السابق صـــ ١٦٨

جـ- المناهج الدراسية في الفلسفة الواقعية المعاصرة

المنهج الدراسي في الفلسفة الواقعية المعاصرة يعمل على إشباع حاجات التلاميذ والمجتمع ، والمواد الدراسية ليست غاية في حد ذاتها بل هي وسيلة تساعد التلاميذ على النمو المتكامل المنشود،والمعلمون يتخذون من هذه المواد الدراسية مرشداً يساعدهم على توجيه التلاميذ إلى الخبرات التي تساعدهم على بلوغ الأهداف التربوية .

والمنهج كما يرى"بيري"يعكس نظام المجتمع وثقافته " ففي المجتمع الديني يعطى المكانة الأولي للدراسات الدينية،وفي المجتمع العلمي تعطى الأهمية للعلوم الطبيعية،والرياضية،وفي مجتمع الأغنياء يميل التركيز إلى الكماليات "[1].

فالمنهج يعكس صورة الحياة في المجتمع ولذلك يتأثر المنهج بالمجتمع وثقافته،ويترتب علي ذلك اختلاف المناهج من مكان لآخر لإختلاف البيئات والثقافات ، وإذا كان التعليم كما يري"بيرى"عملية تشرب الأفراد للتراث الإجتماعي،فإن المنهج يشمل محتوى التراث،وإذا كان المنهج يختلف من بيئة إلى أخرى،فإن العلوم والمعلومات التي يتعلمها التلاميذ تختلف من مرحلة إلى أخرى من حيث الصعوبة والسهولة والكم والكيف.ففي المرحلة الإبتدائية يتعلم التلاميذ المبادئ البسيطة للمواد الدراسية،وخاصة التي ترتبط بميول التلاميذ،لأن القاعدة الأساسية في الفسلفه الواقعية أن نبدأ من الأسهل إلى الصعب،ومن البسيط إلى المركب ومنهج الدراسة في سنوات المدرسة الأولي يفترض أن الطفل حين يبلغ

---

[1] بيري،" أفاق القيمة "،ص ٥٦٧ .

الخامسة من عمره يكون قد عرف القراءة والكتابة بناء على طريقة منتسوري في التعليم، وما يفترضه الواقعيون من الفلاسفة حيث يلتحق الطفل بمدرسة الحضانة بعد عامين من عمره، فإذا بلغ الخامسة يكون قد عرف القراءة والكتابة ومبادئ الرسم والغناء والرقص وقدرة بسيطة على حصر الذهن في عمل متصل، ولن يصل الطفل إلى الكمال في هذه النواحي عندما يبلغ الخامسة بل سيكون في حاجة إلى متابعة التعلم فيها جميعا في خلال السنوات التالية، وأهم هذه العلوم الرياضة والجغرافيا والتاريخ والفسلفة والرسم والغناء والرقص والتمثيل، ولذلك يحتوى منهج الدراسة قبل الرابعة عشرة على هذه العلوم السابقة .

(١) الرياضة : من أهم العلوم التي يجب أن يتقنها الطفل إذا ما وصل إلى الرابعة عشرة من عمره، ففي المرحلة الأولي يكون الحساب أشد العلوم صعوبة، ولكن الواقعيين المعاصرين يرون أنه من الأفضل ألا يقوم الطفل بأي عمل يتطلب مجهودا عقليا شديدا قبل سن السابعة، ومادة الحساب تكون من المواد الحيوية الصعبة لكنه إذا عولج بعناية وتدرج بواسطة طريقة مناسبة في التعليم لا يكون صعبا أو مملا، ولذلك يقول "راسل" الحساب أشد مواد الدراسة الأولي استعصاء على الدخول في منهج يراد جعله شيقا، ومع ذلك فهناك قدر من المهارة الحسابية لابد منه لأسباب عملية[١].

ويجب أن نتدرج في صعوبته حيث نبدأ من السهل إلى الصعب والحساب مقدمة طبيعة لتعلم الدقة، ومن هنا تأتي أهمية تعليم الحساب منذ مراحل الطفولة المبكرة .

---

[١] راسل " في التربية " ص ١٨٠ ، ١٨١ .

(٢) الجغرافيا : يرى الواقعيون المعاصرون أنه من الأفضل أن يتم تعليم الجغرافيا والتاريخ عن طريق السينما حتى لا تكون مملة.وفي نفس الوقت يكون سهلاً تعلمها،كما يشير الواقعيون إلى أهمية الرحلات لزيارة الأماكن نفسها التي هي جزء من المنهج الدراسي حيث يمكن للتلاميذ أن يركبوا القطار،ليروا الأماكن والمدن والريف والمحاصيل ... والأطفال يشعرون باهتمام وسرور نحو الجغرافيا بمجرد اقترانها بفكرة السياحة.ولذلك يري "راسل" أنه من الأفضل تعليم الجغرافيا عن طريق الصور وقصص الرحالة،وعرض ما يراه السائح من أماكن في رحلته بالسينما. والمعرفة الجغرافية مفيدة،ولكن ليست لها قيمة ذاتية من ناحية التفكير،ولكن إذا كانت واضحة وعرضت في صور فعندئذ تكون لها ميزة تقديم غذاء صالح للخيال .

والمعرفة الجغرافية تكون حول بلدان حارة وأخرى باردة، و بلدان سهوليه وأخرى جبلية وهناك رجال سود ، وصفر وحمر ، وبيض.وهذا يشعر الإنسان في حياته اليومية بأن الأقطار البعيدة موجودة حقا.وهذا ما يصعب تحقيقه إلا عن طريق السياحة ولهذا يرى"راسل" أن يخصص للجغرافيا مكان كبير في تعليم الأطفال الصغار "[١].ثم يجب أن يعطوا هؤلاء الأطفال كتباً بها الصور والخرائط والمعلومات الأولية عن مختلف أجزاء العالم .

٣ – التاريخ : ما يصدق على الجغرافيا يصدق على التاريخ إلى حد كبير . ولكن تعليم التاريخ منذ سن الخامسة حيث يمكن أن يُكتسب التاريخ عن

---

[١] المراجع السابق ص ١٨٣ .

طريق قصص شيقة سارة عن عظماء الناس موضحة بالصورة ،فإذا ما بلغ السادسة يمكن أن يقدم للطفل صورة مختصرة من تاريخ العالم على أن يبسط لهم التاريخ اللازم من خلال صور أو أفلام سينمائية .

كما يفضل أن يذهبوا إلى المتاحف بعد سن العاشرة.فهي من خير الأماكن لدراسة التاريخ حيث يمكن أن يدرس الأطفال مراحل تطور البشرية مركزين على التقدم العقلي،وينبغي أن نعتبر الخلافات بين الأجناس والدول والأمم مجرد حماقة وسخافة تشغلنا أثناء المعركة ضد الفوضى والظلام القديم،وتلك المعركة التي تمثل نشاطنا الإنساني الحق فليسرالتاريخ أحداثاً ووقائع ترصد،وإنما هو صراع الجنس البشري ضد الفوضى والظلام.بينما العقل والذكاء ينمو بالتدرج حتى يصير العقل نوراً عظيما يمحو الليل ويبدد الظلام .

ويمكن تعليم الطفل التاريخ من خلال أن نعرض له الإنسان المتوحش منكمشا في البرد ويأكل فواكه الأرض دون طبخ،ثم يرى الأطفال كيف اكتشف النار،وكيف بدأت الزراعة في وادي النيل.وكيف استأنس الحيوانات من غنم وبقر وكلاب،وكيف تطورات السفن من قارب صغير إلى أكبر البواخر في العالم،وكيف تطورت المدن من سكن الكهوف إلى أعظم مدن العالم،وكيف ظهرت الكتابة والأرقام،وكيف عرف المعادن ثم نعرفهم الحروب وأثارها المدمرة والقسوة والاضطهاد .

٤ – **اللغة وآدابها** : تري الواقعية أن تعليم اللغة في مرحلة الحضانة ضروري حيث يمكن للطفل أن يتعلم القراءة والكتابة حتى سن الخامسة من عمره.ولكن آداب اللغة تأتي في مرحلة متأخرة ،

والتعليم القديم يركز على حشـــو عقـــول الأطفـــال بالمعلومـــات الكثـــيرة مثل تواريخ الشعراء وأسماء مـــا أنتجـــوه وغـــير ذلـــك،وهـــي معلومـــات قليلة الفائدة للأطفال إنما المهم حقا هـــو أن يؤلف ، التلميـــذ أمثلـــة محـــددة من الأدب مثل قصص أو مســـرحيات أو شـــعر،حيـــث يمكـــن الطفـــل أن يتعلم أسلوب الكتابة الجيد،وكذلك طريقة التفكـــير الصحيـــح علـــى عكـــس التعليم القديم الذي يركز على حفظ قصائد شعرية مثـــلاً عـــن ظـــهر قلـــب وربمـــا كـــان هـــؤلاء الأطفـــال لا يعرفـــون معـــاني كلماتـــها أو الفكـــرة الأساسية،وهذا التعليم يركز على تربيـــة الذاكـــرة " ولكـــن علمـــاء النفـــس قد أثبتوا أن فائدته من هذه الناحية قليلـــة إن لـــم تكـــن معدومـــة "[1]،ومـــع ذلك الحفظ ضروري للتعليم حيـــث أن تربيـــة الذاكـــرة هـــي جـــزء مـــن تربية العقل،ولكن يجـــب ألا تتغـــافل التربيـــة عـــن تنميـــة القـــدرة علـــى الإبداع والتفكر في مقـــابل التركـــيز علـــى تربيـــة الذاكـــرة ، و للحفـــظ أهمية كبـــيرة فـــي تعليـــم الآداب ولكـــي يكتـــب الطفـــل بلغـــة صحيحـــة وبطريقة طبيعية وتلقائية لابد له من الدراية التامـــة بـــالأدب الجيـــد،وهـــذا ما يجعل الحفظ مهمًا،وإذا كـــان الحفـــظ ممـــلاً فإنـــه مـــن الأفضـــل أن يقترن بالتمثيل، وبذلك يكون الحفظ أمـــرًا يحبـــه كـــل طفـــل حيـــث يجـــد الأطفال في التمثيل متعة،فمثـــلا الأطفـــال الذيـــن يشـــتركون فـــي تمثيـــل مسرحية فهم لا يقتصرون على معرفـــة أدوارهـــم فقـــط ولكنـــهم يعرفـــون معظم الأدوار الأخرى،وتظـــل المســـرحية عالقـــة فـــي عقولـــهم زماننـــا طويلا حيث اقترن الحفـــظ بـــالتمثيل الـــذي يســـبب للأطفـــال الســـرور ،

---

[1] المرجع السابق ص ١٨٥ .

وينبغي أن يركز تعليم الأدب في السنوات الأولي على حفظ أدوار للتمثيل،ومطالعة اختيارية لقصص جيدة الكتابة يحصل عليها الطفل من مكتبة المدرسة،وتري الفلسفة الواقعية ضرورية الإهتمام بكتابة القصص للأطفال على طريقة قصة"روبنسن كروز". وتري الواقعية المعاصرة ضرورة التركيز على اللغات الحديثة،وأن يتعلم الأطفال اللغات الأجنبية مثل الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية.وأن يتم تعليم اللغة الأجنبية منذ الطفولة ، فمن الضروري أن نبدأ مبكراً بتعليم الطفل اللغة الأجنبية.ويري الواقعيون المعاصرون أن تعليم اللغة الأجنبية منذ الطفولة لا يؤثر على لغة الطفل الأصلية فلا مانع من أن يتعلم الطفل لغة اجنبية مع اللغة الأصلية،ومن الأفضل أن يتم تعليم اللغة الأجنبية على يد شخص هي لغته الأصلية،لأنه يكون أقدر وأحسن في تعليمه.لذلك ينبغي أن يكون معلم اللغة الأجنبية من نفس الدولة التي تتحدث هذه اللغة وأن تبدأ معهم متدرجين من الأبسط إلي الأعقد .

(٥) **العلوم الطبيعية** : مثل الطبيعة والكيمياء ، وهي جزء مهم للمناهج في التعليم عند الفلاسفة الواقعيين.ويجب أن نعلم الأطفال هذه العلوم الطبيعية قبل سن الرابعة عشر،ثم بعد هذا السن نعلم الأطفال هذه العلوم لمن يكون لديهم ميول للعلوم الطبيعية .

(٦) **الرقص والغناء** . ففي المرحلة الأولي ينبغي نفرد الوقت الكافي لتعليم الأطفال الرقص بما فيه من فائدة للجسم علاوة على مافيه من

سرور ومتعة للأطفال،وخاصة الرقص الجماعي حيث يتعلم الأطفال التعاون

يرى"راسل"أن المناهج الدراسية يجب أن تركز على العلوم الطبيعية والرياضية ، فبدون علم الطبيعة وعلم وظائف الأعضاء وعلم النفس لا تستطيع بناء العالم الجديد ، و لكن نستطيع بناءه بدون اللاتينية واليونانية وبدون" دانتي" و"شكسبير" وبدون" باخ" و"موزارت" وفي ذلك يقول"راسل"" معرفة الآداب القديمة لم تساعدني أقل مساعدة في حل مشكلة من المشاكل التي جابهتني في حياتي.أما ما تعلمته من العلوم والرياضيات أمدني بموضوعات للتفكير والتأمل "[1]،وفي ذلك يشير"راسل"إلى أهمية العلوم الطبيعية والرياضية على الآداب وخاصة الآداب القديمة مثل تعليم اللغات القديمة مثل اليونانية واللاتينية.ولا يعني ذلك استبعاد الآداب من مناهج التعليم.ولكنها تبقي وتبسط إلى الحد الذي يفسح مجالا للعناصر الأخرى التي بدونها لا يمكن أبدا إيجاد العالم الحديث الذي أصبح إيجاده ممكنا بفضل العلم حيث أنه بفضل العلم من الممكن ، ان نخلق دنيا يجد كل فرد فيها فرصة معقولة للسعادة وأن تقلل الشرور الحسية إلى نسبة ضئيلة وإذا كان الواقعيون المعاصرون يؤكدون على أهمية العلم والعلوم الطبيعية والرياضية،فإنهم يرون أن الفن والآداب في التربية جزء هام من المنهاج الدراسي ." إن معرفة شئ من الأدب الراقي،وشئ من الموسيقي والتصوير وفن العمارة لا غنى عنها إذا أردت أن ننحى حياة الخيال إلى أقصى حد وعن طريق الخيال وحده يستطيع الإنسان أن يتصور ما يمكن أن تكون

---

[1] المرجع السابق،ص ٢٧ .

عليه الدنيا وبدونه يصبح التقدم آليا لا قيمة له.ولذلك يرى"راسل"أن الجزء الصعب من التعليم في السنوات الأخيرة ينبغي على الأجمال أن نقصره على العلوم والرياضيات.ويستثنى من ذلك من له ميول أدبية أو فنية أو كما يرى"بيري"[1] ينبغي أن نعلم العلوم الطبيعية ومناهجها وبراهينها ودورها في الحضارة "[2]. ويرى"وآيتهيد"انه ينبغي أن نكون لدي التلاميذ عادة الإبتداء والإنتهاء بالتجربة من مصدرها الأصلي،ثم يسجلوا الحقائق في صورة واضحة دقيقة.وبذلك يكونوا حقائق عامة اكتشفوها من مشاهداتهم الخاصة.ثم بعد ذلك يفسروا ما تنطوي عليه هذه الحقائق التي يمكن أن تطبق بعدئذ وتجرب بالرجوع إلى معلومات أخرى خاصة بالمشاهدات السابقة." وهكذا فإن العلم يعلمنا أن التفكير النافع ينبغي ألا ينفصل عن المشاهدة "[3]. وتتم المعرفة العلمية في المعمل وليس داخل جدران الفصول.ومنذ أن يصل التلميذ مرحلة المراهقة يجب أن تركز المناهج على العلوم الطبيعية ويقابله تخفيض في الدراسات اللغوية حيث يجب أن يلم التلاميذ بالمبادئ الأساسية التي للعلوم الحديثة مثل الميكانيكا والطبيعة والكيمياء والجبر والهندسة وغيرها ، وتعتمد الدراسة في العلوم الطبيعية على التجريب-والبحث ويصاحبه الاهتمام بالعلوم الرياضية حيث ينبغي أن يحتوى المنهج على العلوم الرياضية من جبر وهندسة ومبادئ الحساب بحيث يقوي " الطالب في مادة الحساب عن طريق الإهتمام بالنتائج الرقمية المحددة ".

---

[1] بيري " آفاق القيمة " ص ٥٥٩ .

[2] جونسون " فلسفة وايتهيد في الحضارة "مرجع السابق ص ١٢٠ .

(د) الوسائل التعليمية :-

لقد اهتم الفيلسوف الواقعي باستخدام الوسائل التعليمية فى عملية التعليم والتعلم حيث تلعب هذه الوسائل دوراً هاماً فى نقل المعرفة أو إكساب المهارات المختلفة للتلاميذ ، ومن أهم الوسائل التي أهتم بها"بيري"هي وسائل الإعلام،أما"وايتهيد"فقد اهتم بالنماذج والصور والتمثيليات والأفلام فى عرض المادة العلمية. وكما اهتم " وايتهيد " بالمجسمات التي تنقسم الى ما يأتي:

الأشياء الواقعية real thing،والعينات specimens،والنماذج modeless. فأما الأشياء الواقعية فهي مأخوذة من البيئة الطبيعية ، والعينات هي جزء من الشئ الواقعي أو عينة منه،وأما النماذج فهي تقليد مجسم للشئ الواقعي المراد دراسته،ويري"وايتهيد"إنه يمكن استخدام الوسائل التعليمية فى كافة المواد الدراسية.ففي مادة التاريخ يمكن أن يتم " عرض الحقائق التاريخية على نطاق كبير عن طريق عرض النماذج أو الصور من المباني،أو الملابس،أو أدوات المنزل،وما أشبه ذلك[1]".كما اعتقد"وايتهيد"أن التمثيليات التعليمية من أهم الوسائل التعليمية فى التعليم فى عرض مادة التاريخ.وفى ذلك يقول"وايتهيد": " إما العرض التمثيلي فإنه بشكل أسلوباً فعالاً يجعل من الحقائق التاريخية شيئاً حياً واضحاً "[2].

ومن هنا فقد اعتقد"وايتهيد"أن التمثيليات والأفلام لها أثرها الفعال فى التعليم والتعلم حيث تكون التمثيلية وسيلة محبوبة ومثيرة ومشوقة وجذابة فتجعل التلاميذ يندمجون مع الأحداث ويتأثرون بها.ولكن"بيري"يهتم بوضع ضوابط لوسائل الإعلام فيقول : أن وكالات الإعلام لا تعمل تحت

---

[1] جونسون،" فلسفة وايتهيد فى الحضارة "،صـ ١١٤ .

[2] المرجع السابق،صـ ١١٤ .

ضوابط تربوية بل إنها تخدم بشكل عام هدفاً تجارياً، إن النشر عمل تجاري حر ... وهمه أن يصل إلى أكبر عدد من المستهلكين وأن يرضيهم فما هو الدواء ؟ يري "بيري" توجد ثلاث إمكانات لا يمكن إغفال أى واحدة منها الأولى من هذه الإمكانات هو إصلاح المنتجين الذين ينتجون هذه البرامج فى وسائل الإعلام فيجب أن يقدموا ما هو أكثر فائدة تربوية للشعب، والإمكان الثاني هى أن توضع هذه الوسائل للاتصال تحت مراقبة الحكومة، وبذلك توجه نحو مصلحة التعليم، ولكن "بيري" يري أن الحكومة سوف تعمل على خلق الرأي العام الذى تستند عليه، وهو يعوق روح الخلق العقلي والخيالي." ويصف الحكومة بأنها سوف تقوم بدور جبار فهي تعامل الناس على إنهم قصر[1]، والإمكان الثالث هو التحكم فى وسائل الاعلام لا بطريق مباشر كأن يكون إصلاح المنتجين، أو تحكم الحكومة، ولكن بطريق غير مباشر وذلك بتربية المستهلكين ... فإذا تعلموا أن يريدوا ما هو خير لعقولهم وأرواحهم فستضطر وسائل النشر تحت ضغط مصلحتها الإقتصادية أن تزود هذا الطلب الأسمى وأن تخترع وسائل لإرضائه ... ويلقي هذا بتبعات جسام على النظم التربوية[2] التي لا بد أن تجدد من مناهجها وأساليبها ووسائلها ومؤسساتها و يجب أن تعمل على خلق المواطن الحر الذى يعرف ما يريد والإنسان الناقد الذى ينتقي ويختار بحرية من بين البدائل، وإذا أريد للتعليم أن يؤتي أكله فى الأعوام القادمة ينبغي أن يغرس جيداً حتى يكون المتعلم مورداً لا متلقي، ذو عقل هو عقلة الخاص، إذ ينبغي على الطالب ألا يعرف كيف ينجو من الغرق ولكن كيف يسبح. ولهذا الغرض ينبغي أن يعرف فرص

[1] بيرى " أفاق القمة " صـ ٥٦٥

[2] المرجع السابق صـ ٥٦٥

تعليمه المستمر، ويعرف كيف يستعمل الكتب والفن والصحف والمجلات والإذاعة والتليفزيون والمسرح والخطب و كلام الناس حتى يتغذى ،منها غذاء لا فساد عليه،ينبغي أن يعرف كيف يميز وكيف يختار من بين الخليط من النشر "و الدعاية التي تحيق به،وينبغي أن يكتسب مقاومة ضد مكر من يروجون البضاعة أو الأفكار، ومع ذلك يعرف كيف يشتري ويكون لدية ضرب من الإرتياب المبدئي، ولكنه مع ذلك يسمح له بأن يتقبل ويؤمن وأن يكون ذو عقل يستطيع أن يقول عنه بحق إنه عقله الخاص به.[١]

أما"راسل"فقد اهتم باللغة كوسيلة تعليمية سواء كانت لغة منطوقة أو مكتوبة حيث يرى" راسل" أن للإنسان مميزات تفوق بها على الحيوان وأهمها على الإطلاق هي اللغة،فهي من أهم خصائص الإنسان، وذلك لأنها وسيلة هامة لنقل المعلومات والمعارف والتعليمات وللتعبير عن الانفعالات وفى ذلك يقول"راسل" " تزعم مطمئنين بأن اللغة هي من خصائص الإنسان وحدة ، بل لعلها العادة الوحيدة الأساسية التي تجعل الإنسان كائناً أعلي منزلة من الحيوان الأبكم " dumb animal"، والفلسفة التقليدية لم تدرس موضوع اللغة بالعناية الكافية، وقد سلمت بأن الألفاظ تعبر عن الأفكار، وأن الأفكار thoughts تقابلها أشياء objects التي تعنيها تلك الألفاظ،ويري "راسل"أن الفلاسفة أخطأوا حين بحثوا فى الألفاظ، و حينما فرضوا أن اللفظة الواحدة لها حقيقية واحدة مع إنها فى الواقع مجموعة أحداث متشابهة. أي أن الكلمة الواحدة حين تكتب أو حين تنطق فإنما تكتب مرات كثيرة ، أو تنطق مرات كثيرة وهي فى كل مرة مختلفة قليلاً عنها فى المرة الأخرى، وأما المعني لا يمكن فهمه إلا إذا نظرنا إلى اللغة على إنها

---

[١] المرجع السابق،صـ ٥٦٦

عادات جسدية bodily habit نتعلمها كما نتعلم لعب كرة القدم أو ركوب الدراجة "،ويتناول"راسل"اللغة من جوانب متعددة مثل تطورها وأيهما كان أسبق الكلمة المنطوقة أو المكتوبة،ومتا هي أنواع الألفاظ،وما هي مميزات اللغة بالنسبة للإنسان،وهل للحيوان لغة ؟ وألفاظ اللغة أربعة أنواع ! منطوقة ومسموعة ، ومكتوبة ومقروءة،الكلمة المنطوقة تتكون من سلسلة من الحركات التي تحدث فى الحنجرة والفم بالاشتراك مع التنفس والكلمة المنطوقة ترتبط بالكلمة المسموعة،وهي تعني أن هناك موجات الصوت المنبعثة من فم المتكلم منتقلة إلى إذن السامع.ثم هنالك عملية فسيولوجية تتم فى أذن السامع.وفى أعصابه ثم هنالك حادثات تحدث فى المخ.وهي كلها عمليات مختلفة بعضها عن بعض . والكلمة المنطوقة هي مجموعة من الحركات فإذا ما تكررت هذه المجموعة بعينها قلنا إنها لفظة بعينها،وهي تشير إلى الكلمة نفسه فإذا ما تكرر نفس هذه الحركات فإنها ترتبط مع نفس الشئ بعد ذلك تشير إليه حينما تنطق هذه الكلمة .

وتختلف الألفاظ المكتوبة عن الألفاظ المنطوقة فى إنهاء بناءات مادية material structures،والكلمة المنطوقة فى العالم الفزيائي تشغل حيز من الزمن بينما الكلمة المكتوبة سلسلة من الأجزاء المادية.وتحدث فى المكان.فى الكلمة المكتوبة يمكن أن تعيش مدة زمنية أطول قد تصل إلى آلاف السنين بينما كانت الكلمة المنطوقة تنتهي مع انتهاء اللفظ.ولكن مع اختراع الآلات الحديثة مثل وسائل الإعلام المسموعة والمرئية يمكن أن تستمر الكلمة المنطوقة أيضاً إلى أطول مدة ممكنة بل ربما يأتي يوم . كما قال"ولز"wells : لا تطبع فيه الكتب بل تسجل أصوات المؤلفين على أشرطة أو أقراص صوتية . والكلمة المقروءة سريعة الزوال مثل الكلمة المنطوقة أو المسموعة وإذا تعرضت كلمة مكتوبة لضوء وهي موضوعة

وضعاً مناسباً بالنسبة إلى عين القارئ ، أحدثت أثراً معيناً في عينه ثم ينتقل إلى المخ.وفى هذه العملية يحدث جزء خارج العين.وجزء ثان داخل العين.وهناك أجزاء أخرى تتم بعد ذلك وهي العمليات التي تحدث فى العصب البصري أولاً ثم المخ ثانياً . ويشير" راسل" إلى أهمية تعلم اللغة كما نشاهده فى أطفالنا " إن الطفل ليتعلم فهم الألفاظ فهما دقيقاً كما يتعلم أيه عملية أخرى من عمليات الترابط البدني.فإذا قلت كلمة زجاجة bottle كلما أعطيت الطفل زجاجته فإنه يربط بين الكلمة والزجاجة نفسها.ثم يستجيب لكلمة زجاجة بنفس السلوك الذى كان يستجيب به للزجاجة نفسها كما يحدث فى قانون الترابط.فإذا ما تم الترابط بين الزجاجة وكلمة زجاجة قال الوالدان عندئذ عن طفلهما إنه تعلم كلمة زجاجة.وفهم معناها.أي إنه أصبح يعرف ماذا تعني كلمة زجاجة.ويوضح"راسل"ذلك فيقول أن الشئ المادي مبعث لطائفة من الخيوط ، فلو كان الشئ مرئياً لإنسان ما فإنه يمر بمراحل عديدة منها : موجات ضوئية تنتقل من الشئ إلى عين ذلك الإنسان.ثم أحداث تقع فى عينيه وفى عصبه البصري ثم احداث تحدث فى مخة،وبعد ذلك تأتي الإستجابة التي يرد بها على ذلك المنبه. هذا فضلاً عن الحادثات التي تطرأ على النسيج الحي.وتترك أثرها فيه تطلق عليه اسم الذاكرة memory كل هذه الأمور تحدث فى الكيان العضوي للإنسان الذى رأي الزجاجة.وهذا الأمور نفسها هي التي ترتبط فيما بعد بكلمة زجاجة التي يسمعها الطفل عند رؤيته للشئ الذى قد رآه.وهكذا يمكن تفسير تعلم اللغة عن طريق قانون الترابط .

هذه عن تعلم الكلمات المحسوسة أما الكلمات المعنوية فهي أكثر تعقيداً ولكن لقانون الأثر دوراً هاماً فى تعلم اللغة مثلما يحدث عندما ينطق الطفل كلمة ماما mama ودادا dada فهذه الأصوات تجئ عفواً من

الطفل ولكن حينما يقولها الطفل فى وجود أمـــة تحســبه الأم يعنــي مــا يقــول من المعني.ولهذا تراها تبدي إرتياحاً على صــورة محببــة الــى الطفــل فيــأخذ تدريجياً بناء على قانون الأثــر فــى تكويــن عــادة هــي عــادة إخــراج هــذا الصوت بذاته فى حضرة أمة،لأنه عرف ان له نتـــائج ســارة فــى مثــل هذه الظروف ولكن هذه الكلمات تكون قليلة.ولكن الغالبيـــة العظمــي مــن الكلمــات يتعلمها الطفل بالمحاكاة بالإضافة إلى عملية الربــط التــي تربــط بيــن الشــئ وبين الكلمة التي ينطقها وهو ربط بعمــل الوالــدان علــى تثبيتــه عنــد الطفــل فى مراحل عمره الأولى . هذا عن تعلــم الطفــل للكلمــات أمــا تعلــم الجمــل التي تتألف من تلك الكلمات،فيقول"راسل" وهنـــا نــري فريقــاً مــن الفلاســفة الذين يمقتون التحليل بطبيعتهم تراهم علـــى اعتقــاد بــأن الجملــة كلــها تــأتي أولاً ثم تأتي بعد ذلك أجزاؤها.وكثيراً ما تراهــم يستشــهدون بصــدق دعواهــم هذه باللغة الباتاجونيــة language of the patagonians التــي لا يعرفــها معارضوهم،فيقولون : أن الرجل من قبيلــة الباتاجونيــة يفــهمك إذا قلــت لــه " إني ذاهب لصيد السمك من البحيرة الواقعــة خلــف التــل الغربــي " ولكــن لا يستطيع أن يفهم كلمة سمكة fish بمفردهـــا ".وهــذا شــئ خيالــي ولا يمثــل القاعدة العامة من النـــاس،وأن الــدول المتحضــرة لا يســلكون هــذا الســلوك ويري"راسل"أن كان هذا أمر الباتاجونين فهم شـــواذ " ليــس هنــاك مــن شــك فى أن الطفل فى الأمة المتحضرة لا يســير علــى هــذا الــترتيب فــى تعلمــه للغة فقد نطق الأطفال الذين وضعوا تحت الملاحظـــة الدقيقــة بــالجمل الكاملــة بعد أن نطقوا الكلمات المفــردة بزمــن طويــل،إن الأطفــال فــى أول حياتــهم تكون قدراتهم محدودة لإخراج الأصـــوات sounds وكذلــك قدراتــهم علــى الترابط محدودة " فكيف يتعلمون الجمـــل قبــل الكلمــات،فالطريقــة الصحيحــة لتعلم اللغة هي الطريقة الجزئية التي تبدأ بالكلمـــات،ثــم الجمــل،ولذلــك يــري

"راسل"أن كلمة ماما ودادا بدون شك كانت كلمات تخرج بطريقة تلقائية في مرحلة مبكرة من الطفولة،ثم وجدها الكبار كلمات مناسبة،وأن لها معني meaning ، وهكذا أول الكلام لا يكون محاكاة للكبار بل يجئ . حين يكتشف الطفل أن أصواته التلقائية تعود عليه بما يرضيه،ثم تأتي المحاكاة بعد ذلك حين يجد الطفل أن الأصوات المنطوقة قد يكون لها معني فالمهارة المطلوبة للطفل لكي يتعلم الكلام هي نفس المهارة التي يتطلبها إذا ما أراد إن يتعلم لعبة معينة أو أن يتعلم ركوب الدراجة .[1]

وإذا كان تعليم الكلمات المفردة يتم حينما يدرك الطفل جزءاً من بيئته ويربط بينه وبين لفظة معينة،فإن الجملة يقتضي تكوينها أن يدرك الطفل جزءاً من البيئة وربطه بكلمة ثم أدرك جزءاً آخر وربطه بكلمة أخرى ثم ربط بين الجزأين بعلاقة تصل أحدهما بالآخر،ولذلك يكون تكوين الجملة حينما يدرك الطفل العلاقات بين الوقائع،وإدراك العلاقات هو إدراك للصور أو الإطار ولذلك المنبه لا يكون شيئاً محسوساً بل يكون صورة فإذا استعمل الطفل جملة استعمالاً صحيحاً كان هذا برهاناً على إدراكه لصورة تركيب الوقائع بعضها مع بعض . خلاصة القول إن تعلم اللغة يتم من خلال الطريقة الجزئية التي تبدأ من الكلمة إلى الجملة وبل تعلم الكلمة المكتوبة يكون عن طريق تعلم الحروف ثم الكلمة ثم الجملة وفي ذلك يقول"راسل"" أن ابنه الأكبر تعلم الحروف ثم الكلمة ثم الجملة"[2]،ولعل فلسفة"راسل"التحليلية تنصب على أهمية اللغة من خلال استعمال اللغة للإشارة إلى أشياء العالم أو لوصف وقائعه،وكيف يكتسب الطفل اللغة من واقعه وأهم أنواعها والجمل وكيف يكتسبها الطفل منذ نعومة أظافره .

[1] I bid P. 110

[2] I bid p 213

رابعاً : التعليم العالي

الجامعة هي إحدى مؤسسات التعليم العالي و التعليم فيها يكون لمن أجتازوا السنوات الدراسية السابقة.فما هي أهداف التعليم فى الجامعة ؟

الهدف الأول : هي إنها تعد الرجال والنساء للعديد من المهن مثل الزراعة والصناعة والطب والتدريس والتجارة والحقوق .

الهدف الثاني : هو يختص بالبحوث والدراسات العلمية حيث تهدف الجامعة إلى إجراء البحوث والتجارب العلمية الجادة سواء كان من جانب المعلم أو المتعلم.

والتربية الجامعية ينبغي أن تعتبر امتيازا يتمتع به ذوو المواهب الخاصة بحيث يكون على الدولة أن تنفق على الذين تتوفر فيهم المهارة والاستعداد أثناء تعليمهم الجامعي.فلا ينبغي أن يقبل أحد فى الجامعة إلا إذا أجتاز اختيارات القدرة ، كما لا ينبغي أن يسمح لأحد بالاستمرار فيه ما لم تطمئن الجامعة إلى إنه ينتفع بوقته الانتفاع اللازم.فليست الجامعة مكان لقضاء وقت الفراغ إنما هو مكان للبحث والإطلاع الجاد.فلا ينبغي أن يسمح لهم بالبقاء إذا تبين أنهم يضيعون وقتهم عبثاً سواء كان ذلك من كسل أو من عدم استعداد،ويري"راسل"إنه " يجب أن يكون التعليم إجبارياً حتى سن السادسة عشر أو ربما بعد ذلك ثم يترك للطالب الخيار ، فله أن يستمر فى التعلم أو يهجره ولكن التعليم العالي يظل مجاناً لأولئك الذين يريدونه حتى سن الحادية والعشرين على الأقل." كما ينبغي ألا يكون الطلاب كسالي فى طلب العلم،وعدد المحاضرات يكون كافي،والمعلم ينبغي أن يعطي الطلبة فى بداية الفصل الدراسي قائمة بالكتب التي يتحتم

عليهم قراءتها بعناية،ويشير إلى كتب أخرى،ثم المعلم يلقي أسئلة لا يمكن الإجابة عليها إلا لمن لاحظ وفهم النقط المهمة أثناء قراءه الكتب،وعليه أن يقابل تلاميذه فرادي مقابله شخصية عقب إجابتهم على الأسئلة يدير معهم حوار ومناقشة حول المنهج على أن تكون هذه المقابلة أسبوعياً أو كل أسبوعين لمتابعة المعلم تلاميذه .

وتوجد نقطة هامة فى التعليم الجامعي حيث ينبغي على كل معلم فى الجامعة أن يشغل نفسه بالبحث،وأن يكون لديه الفراغ والنشاط ما يكفيه للإطلاع على ما يستحدث فى مادته،فالمهم أن يتمكن المعلم من مادته،ولن يتحقق له ذلك إلا إذا حرص على التعرف على ما يجري فى العالم من جديد.ولذلك ينبغي للمعلم أن يجدد مادته العلمية،ولا يكن قاصراً على ما تعلم فى صباه،ولذلك يقترح"راسل""أن يعطي لكل معلم سنة أجازة بعد كل ست سنوات فى العمل يذهب فيها إلى الجامعات الأجنبية " حتى يمكن اكتساب المعرفة التي استحدثت فى الخارج.وبالتالي ينعكس ذلك ليس على الطلاب فقط.وإنما على البحوث العلمية أيضاً،وفى ذلك يري"راسل"" أن المعلم بالجامعة ينبغي ألا ينتظر منه أن يصرف ساعات طويلة فى التدريس بل ينبغي أن يكون لدية الفراغ الكافي للبحث " .

وتري الواقعية المعاصرة الفلسفية " إنه لا ينبغي أن تكون الأهمية للتدريس على البحوث داخل الجامعة ذلك لأن البحث على أقل تقدير يعدل التدريس فى أهميته عند معرفة وظيفة الجامعة فى المجتمع البشري فالمعرفة الجديدة هي السبب فى التقدم وبدونها سرعان ما تصبح الدنيا جامدة واقفة .

إن الجامعات ليست للتعليم والتلقين فقط ولكنها أعدت للأبحاث.ولكن الهدف الأساسي لإنشائها "ليس تحصيل العلم ولا لبحث عنه بل إتاحة الفرصة أمام العلماء أعضاء الكلية لمزيد من التقدم العلمي ... كما كان الهدف من قيامها حفظ الصلة بين المعرفة وتذوق الحياة " . فالجامعة ترتبط بالحياة وليست بعيدة عن المجتمع فهي ليست تلقين الطلبة المعلومات وليس التلقين مبرر لوجود أي جامعة بل أن مبرر قيام الجامعات أنها تحفظ الصلة بين المعرفة وتذوق الحياة أو على الأقل هذه هي المهمة التي يجب أن تقوم بها الجامعة للمجتمع ، والجامعة التي تفشل فى هذا لا مكان لبقائها[1].

إن الجامعات هي التي أعدت رواد الفكر فى حضارتنا المعاصرة من علماء وأدباء وأطباء وساسة فقد كانت الجامعات بيوتاً لتلك المثل التي قادت البشر إلى مواجهة اضطراب العصر الحديث،كما أن وجود الجامعات يعد مصدر التقدم السريع الذى عرفته الحياة فى كثير جداً من ميادين النشاط "

وتقوم الجامعات بالبحث والتعليم و تنظيم مظاهر الحياة والبحث العلمي أن هو إلا مغامرة عقلية،والجامعات ينبغي أن تكون مؤسسات للمغامرة التي يسهم فيها الشيوخ والشباب من أساتذة الجامعات[2]

وكل مجتمع معاصر يتوقف تقدمه هذا على ثلاث جماعات،جماعة العلماء وجماعة المكتشفين،وجماعة المخترعين ... وهذه الفئات الثلاثة تتكامل

---

[1] وايتهيد " أهداف التربية " صـ ٨٧

[2] المرجع السابق ، صـ ٩٥

ولا تتنافر ... والجامعات هي المركز الأعظم لهذه التأثيرات المتبادلة حيث تتحول هذه العناصر المتداخلة إلى أداة للتقدم .

يعتقد"وايتهيد"أن الجامعات ينبغي أن تضطلع بالدور الرئيسي في تطوير الحضارة في العالم الحديث،ولذلك تهدف هذه الجامعات إلي تخريج رجال ونساء من جميع الطبقات،ومن أصحاب الميول المختلفة حيث تهيئهم لبلوغ أعلي مستويات التنمية الذاتية،" والتعليم الجامعي لا يقتصر على تعلم الحقائق والمعارف والمفاهيم فقط بل يجب أن يعمل على تنمية ملكات النقد و الحكم على الأشياء،لذلك فإن " هدف وايتهيد من الثقافة الجامعية هو بالدرجة الأولى تنمية مجموعة من القدرات العقلية " فالهدف الرئيسي للجامعة ليس حشو مجموعة كبيرة من الحقائق في ذهن الطالب بل أن السجايا العقلية يجب أن تنمي بحيث تمكن الطالب من أن يتصرف تصرفاً سليماً حين تواجهه بعض المشاكل الخاصة ... حتى يبلغ درجة من النضج المتزن في الحكم على الأشياء تنقذه من الوقوع في الحيرة في مواجهه المشكلات الكبرى.بالإضافة إلى ذلك فإن التعليم الجامعي يركز على تنمية قدرة الطالب على التمكن من مجموعة من القواعد العامة والمبادئ التي يستطيع الطالب أن يتعلم كيف يطبقها على أية ظروف خاصة،ولذلك يجب أن يبدأ التعليم في الجامعة " من الأفكار العامة لكي يدرس تطبيقاتها في الحالات الفردية"[1] المحسوسة،والتركيز هنا لا يكون التفاصيل التي نحشو بها ذهن الطالب " فليس هناك إلا احتمال ضئيل جداً

---

[1] وايتهيد" أهداف التربية"،صـ ٣٢

أن يلتقي فى حياته بعدَ ذلك بتلك التفاصيل [1] وحتى إذا التقى بها فإنه يكون قد نساها وتصبح مهمة الجامعة أن تمكن الطالب المبادئ العامة فيقول "وايتهيد": وحين أتحدث عن المبادئ العامة لا يخطر ببالي تلك الصيغ اللفظية.فإن المبدأ المفهوم عقلياً متى انطبع فيك أصبح عادة ذهنية أكثر منه عبارة لفظية.وليس القصد من وراء ذلك أن"وايتهيد"يقلل من شأن الحقائق فى مرحلة الجامعة فأحد الجوانب الهامة فى التثقيف الجامعي هو تيسير الأساليب التي تعين على اكتشاف الحقائق اكتشافاً بارعاً نافعاً ثم تسجيل هذه الحقائق وعرضها . إن الذى يعترض عليه"وايتهيد"هو حشو الكميات الهائلة من المعلومات والحقائق التي لا تهدف إلى شئ ولا تحمل معنى [2]

التركيز هنا على طريقة العقل فى حصوله على المعرفة فالغاية من التعليم الجامعي ليس الحصول على المعرفة فى ذاتها بل تنمية العقل للحصول على المعرفة.فالمهم كيفية الحصول على المعرفة،وليس كم المعرفة " أن الغاية القصوى للجامعة ليست المعرفة بقدر ما هي تنمية القدرة للحصول عليها "[3]،واعتراض"وايتهيد"على حشو المناهج بما هو نافع وغير نافع .

الخلاصة : وايتهيد مقتنع بأن الشخص فى الجامعة يجب أن يبلغ القدرة على استخدام المعرفة استخداماً يتلاءم مع القدرة على التمييز من حيث الإختيار والتقويم "[4]ينبغي أن تكون الجامعة أحد العوامل الرئيسية فى عملية

---

[1] وايتهيد" أهداف التربية" صـ ٣٣

[2] جونسون صـ ١٢٨

[3] وايتهيد" أهداف التربية" صـ ٣٤

[4] جونسون صـ ١٢٨

التطور الاجتماعي ومن هنا ينبغي أن يكون الحرم الجامعي ملتقى العلماء والمكتشفين والمخترعين،ويرسم"وايتهيد"صورة مثالية للجامعة حيث أنه ينبغي أن يتهيأ لها فى الهيئة التدريسية طراز خاص من الأساتذة الكبار الذين لديهم المعرفة ويستخدمونها للمضي فى عملية التطور الذاتي إلى آفاق أبعد بحيث تشمل جميع أفراد المجتمع،وأهم سمات هؤلاء الأساتذة الحماسة والأصالة والعبقرية والتحصيل النافع والثقة،ولقد اكتشف"وايتهيد" دور الكلية لا يعتمد على مميزات كل عضو فيها على حدة بل أن التأثير المشترك مهم " إنه يدعو إلى التعاون بين الأساتذة فى الجامعة،ويرفض "وايتهيد"تقييم الأستاذ الجامعي على ما ينشره من كتب وأبحاث لأنه يري أن هناك من خيرة الأساتذة ولكن نشره قليل أو لا ينشرون شيئاً ، كما أن بعض ما يطبع يكون غير نافع،ولكن تقاس قيمة الكلية بملاحظة نوع العمل الذى ينجزه أعضاؤها." إن الجامعة مؤسسة من المؤسسات التي تعمل على تحقيق الحضارة،وينبغي أن يكون الحافز لجميع أعضاء المجتمع الجامعي الإتجاه العام نحو الحق والجمال والخير ".وينقد"وايتهيد" أسلوب الجامعة فى التعامل المادي مع الأساتذة والوضع المادي للمعلم وإذ ينبغي أن ينصرف اهتمام المعلم إلى تطوير أفراد المجتمع لا الإنشغال بالأعباء المادية .

كما أن التفكير ينبغي أن يكون له تأثير عمل فى شئون الحياة العادية فالجامعات يجب أن تشتمل على تعليم مهني فهي تعمل على تهيئة التدريب العملي للعلوم،ويعتقد"وايتهيد"أن أرسطو لو كان حياً اليوم لأهتم كثيراً

بدراسة الطب والعلوم التطبيقية لذلك يشير "وايتهيد" إلى أهمية التعليم المهني في الجامعة .

خاتمة الفصل :

استهدف هذا الفصل دراسة نظرية المعرفة في الفلسفة الواقعية المعاصرة عند كل من "راسل" و"بيري" و"وايتهيد" ، وذلك من خلال محاور متعددة مثل عرض نظرية المعرفة عند كل من "راسل" و"بيري" و"وايتهيد" ونظرية المعرفة والمناهج التربوية وطرق التدريس ووسائل التعليم ودور كل من المعلم والمتعلم على اعتبار أن المعرفة هي حلقة اتصال بين المعلم والمتعلم. وقد اتضح أن الواقعية المعاصرة أعطت أهمية كبري لدور المعلم والمتعلم فلم يعد دور المعلم ناقل للمعرفة فقط ولكنه موجه وملقن ومرشد للتلميذ. وكذلك المتعلم لا يتوقف دوره عند حفظ المعلومات عن ظهر قلب فقط ولكنه يشارك بشكل إيجابي في العملية التعليمية ، كما أعطت الواقعية المعاصرة أهمية كبيرة لطرق التدريس من إلقاء ومحاضرة ومناقشة وحوار واستخدام وسائل تعليمية وغير ذلك مما يحقق نجاح العملية التعليمية ، وإذا كانت الدراسة قد اهتمت بنظرية المعرفة في هذا الفصل فإنها في الفصل التالي سوف تلقي الضوء على القيم الإنسانية والتربية في الفلسفة الواقعية عند كل من "راسل" و"بيري" و"وايتهيد" ذلك لأن المعرفة بدون قيم إنسانية تصبح عديمة الجدوى بل تؤدي إلى هلاك البشرية ومن هنا تأتي أهمية القيم التربوية في حياة كل البشر.